# ملخص البحث


الالتزام في اللغة يفيد معنى المصاحبة التي من سماتها الثبات على الشيء واعتناقه وعدم التحول إلى ما سواه أو إلى ما دونه. والالتزام شيء فطري في الإنسان وجزء من مكونات طبعه، ومن يخالف هذا الوضع الطبيعي يكون قد شذ عن طبعه وفطرته التي فطر عليها.

وينقسم الالتزام إلى قسمين؛ التزام داخلي وهو عبارة عن ترجمة ما يدور بداخل النفس البشرية أو الفكر وكذلك كل ما ينبثق عن الروح، وتتبلور هذه التجربة لتجعل الإبداع مميزاً شكلاً ومضمونا.

و الالتزام الخارجي وهو عبارة عن الضوابط والنظم والقيود التي من شأنها ضبط حركة سير الحياة في أي مجتمع من المجتمعات؛ وهذه الضوابط قد تكون اجتماعية أو أخلاقية أو عقدية.

وليس هذا من بدع الباحثة؛ ولكن ما يتضمنه البحث من رؤية جديدة لمفهوم الالتزام والإبداع ربما سيكون مما قد ينتظره القاري من إبداع في هذا المجال.

البحث محاولة لتأصيل مفهوم الالتزام والإبداع في جذوره الأولى؛ بدءاً بعصر ما قبل الإسلام متمثلاً بنموذجيّ: عنترة بن شداد في فروسيته، وعروة بن الورد في صعلكته التي كانت منهجاً اجتماعياً تفرد به عن مجموعة الصعاليك؛ مروراً بعصر صدر الإسلام الأول وكيف كانت بداية الالتزام متمثلة في قوله تعالى :( **وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُم فِي كُلِ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيراً وَانتَصَرُواْ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا** .....) فلق الصبح الذي أضاء بصيرة شعراء الإسلام متمثلة في نموذجيّ حسان بن ثابت الذي كان لسانه سيف المقال ضد المشركين، وعبد الله بن رواحه الذي كان يمثل الجانب العقدي منطلق التزامه في هجاء الكفار، ومن سار على نهجهم ككعب بن مالك وغيره من الشعراء؛ حتى أضحى " الالتزام " بمفهوم هؤلاء الشعراء مهاداً لشعراء العصور اللاحقة ؛ والبحث الذي سيتوزع في هيكليته بين مقدمة ومحورين وخاتمة كفيل بأن يسلط الضوء على أبرز هؤلاء الأعلام الذين أصبح التزامهم إبداعاً كالشاعر" إيليا أبو ماضي" و" أبو القاسم الشابي" ومعروف الرصافي ومحمد الفيتوري.

**المقدمة**

الالتزام لغة فسره صاحب اللسان بقوله:" اللزام الملازمة للشيء والدوام عليه، والالتزام الاعتناق".[1] وفي مفهوم الأدباء عرفه عبد الرحمن رأفت الباشا بقوله:. " أن يلتزم الأديب في كل ما يصدر عنه من أدب فكراً محدداً من الأفكار، أو عقيدة من العقائد، أو فلسفة من الفلسفات؛ سواء أكان ما يلتزم به دينياً أم سياسياً أم اجتماعياً أم نحو ذلك؛ بحيث يكون أدبه نابعا مما اعتقده ممثلاً لما اعتنقه غير حائد عنه أو خارج عليه".[2]

الالتزام قديم قدم الفطرة التي فطر الله سبحانه وتعالى عليها العباد، لأن الفطرة السوية تدفع الإنسان الذي استخلفه الله تعالى في الأرض، وكلفه باعمارها أن يلتزم جانب الحق في كل حركاته وسكناته، ويعبر عن التزامه بالكيفية التي تمكنه من بلوغ الهدف، قال تعالى:.( **قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَ نُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبّ الْعَالَمِينَ** )".[3]إذاً الفطرة السوية تقتضي أن يلتزم الإنسان بما ارتضاه الله تعالى له من نهج سوي. كمخاطبة رب العزة والجلالة لآدم عليه السلام عندما صدر الأمر الإلهي لآدم في قوله تعالى:. ( **وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنْ الظَّالِمِينَ** ). [4]

كذلك عرف الرجل الجاهلي الالتزام عندما تمسك بقيمه الجاهلية وعاداته وتقاليده وأعرافه؛ التي تدور في فلك القبيلة. ولا يجوز لأي فرد من أفراد القبيلة أن يتمرد أو يخرج على هذه القيم. ولم يحول هذا الالتزام بينه وبين الإبداع والتميز. فما خلفه العصر الجاهلي من حضارة شاهد ودليل على مدى ما وصل إليه الفكر آنذاك من تقدم ورقي . وبشروق شمس الإسلام جاء الوحي الأمين بالنص القرآني الصريح الذي يوضح المبادئ التي لابد أن يلتزم بها المسلم الأديب وذلك في قوله تعالى :. ( **وَالشُعَرَاءُ يَتَّبِعُهمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُم فِي كُلِ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيراً وَانتَصَرُواْ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون** ) [5] فقد وضح المولى عز وجل المبادئ التي لابد أن يلتزم بها كل شاعر أراد أن يستظل تحت شجرة الإسلام الظليلة. وظهرت نظرية الالتزام في الأدب الحديث على يد الرومانسيين، وكان سبب تفجر هذه القضية " نظرية الالتزام " الضوابط التي وضعها الإنسان حتى يسيطر على أخيه الإنسان أو يحد من حركته المادية والفكرية.

---

[1] لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين بن منظور، دار المعارف بمصر د. ت، المجلد الخامس، ص/ 4027.مادة لزم.

[2] نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد:عبد الرحمن رأفت الباشا، دار الأدب الإسلامي القاهرة، الطبعة الرابعة1998م / 149.

[3] سورة الأنعام آية / 162.

[4] سورة الأعراف آية / 19.

[5] سورة الشعراء آية / 224 – 227 .

المحور الأول

## الالتزام في المذاهب الأدبية المختلفة

يتناول هذا المحور الأسباب والدوافع التي أدت إلى نشؤ ظاهرة الالتزام في المذاهب الأدبية المختلفة . والمذهب لغة كما فسره صاحب اللسان يعني الأصل والطريقة ، وتمذهب بالمذهب أي اتبعه[6]، واصطلاحاً عبارة عن قوالب وضع أسسها الأدباء من شعراء وكتاب ونقاد؛ ووضحوا الفلسفة التي تستند عليها هذه المذاهب ، وعرفها صاحب كتاب الكلاسيكية بقوله :. " في حقيقتها اتجاهات فكرية وذوقية ، تنتظم مجموعة من الآداب فتشكل نمطاً من أنماط الاتصال بينها، ينطوي على ألوان من التأثير والتأثر، والتقارض والذيوع ، وغير ذلك من ألوان الاتصال التي تعني بها الدراسات المقارنة " .[7]

وعرفها محمد مندور بقوله :. " المذاهب حالات نفسية عامة ولدتها حوادث التاريخ، وملابسات الحياة في العصور المختلفة. وجاء الشعراء والكتاب والنقاد فوضعوا للتعبير عن هذه الحالات النفسية أصولاً وقواعد يتكون من مجموعها المذهب، أو ثاروا على هذه القواعد والأصول لكي يتحرروا منها . وبذلك خلقوا مذهباً جديداً ".[8]

وحتى نتمكن من الوقوف على المبادئ التي التزم بها كل مذهب من المذاهب لابد من الوقوف على الفلسفة التي استند عليها كل مذهب، وأبسط القول في بعض هذه المذاهب كالكلاسيكية والرومانسية والرمزية والواقعية ( في محاولة لتأصيلها وردها إلى جذورها التي نشأت منها ) على النحو الآتي:.

**المذهب الكلاسيكي:** CLASSICALISM

عُرف القرن السابع عشر في فرنسا بعصر الأدب، وكان الأدب الكلاسيكي وليد هذا العصر. ومن هنا استمدت الكلاسيكية معناها الاصطلاحي؛ أي أدب القرن السابع عشر. يستند الأدب الكلاسيكي على العقل ويدور في فلكه؛ ويلتزم بقواعد اللغة وأصولها. كذلك من مميزات هذا المذهب الاهتمام بالنواحي الأسلوبية والصياغة؛ وعَرف شكري محمد عياد الأسلوب الكلاسيكي بقوله:. " ينافي التعقيد، وينفر من الغرابة، ولا يحرص على شيء كما يحرص على الوضوح، ولا يظهر ذلك فقط في اختيار الألفاظ والتراكيب، بل في الصور البيانية أيضاً، فالشاعر الكلاسيكي يريد أن يمتع جمهوره، ولا يريد أن يثير دهشته بشيء خارج عن نطاق المألوف ".[9]

---

[6] لسان العرب: ابن منظور، المجلد الثالث، ص/ 1522 مادة ذهب.

[7] الكلاسيكية: عبد الحكيم حسان، دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ص / 4.

[8] في الأدب والنقد : محمد مندور ، نهضة مصر، القاهرة 1988م/ 96.8

[9] المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين : شكري محمد عياد ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت1993م ، ص / 164

وقد جمع الناقد الفرنسي بوالو ( 1636م . 1711م ) الأصول والقواعد التي يلتزم بها المذهب الكلاسيكي في قصيدة تسمى فن الشعر ومنها قوله:.

**كَيْفُمَا كَانَتْ كِتَابَاتُكمُ تَجَنَبُوا الوَضَاعَةَ**

**الأُسْلُوبُ الأَقَلَ نُبْلاً ، هُوَ مَعَ ذَلِكَ نَبِيلٌ**

وكذلك قوله :.

**أَعِيدُوا النَظَرَ فِيَما تَكْتِبُونَ عَلَى ضَوءِ السّاعَةِ**

**أَصْقِلُوهُ بِلاَ انْقِطَاعٍ، وَأَعِيدُوا صِقَالهُ**

**أَضِيفُوا حِيْنَاً وَاحْذِفُوا حِينَاً**

**لاَبُدَ أَنْ يَكُونُ كُلُ شَيءٍ فِي مَكَانٍ لاَئِقٍ** [10]

وهذه الكلاسيكية بمفهومها الحديث، جذورها ضاربة في القدم، وقد خرجت من أعماق الأدب العربي القديم؛ فقد عرفتها لغة القوافي، يوم قصد رجل الصحراء القصيد بل كانت بحور الخليل مهدها الأول؛ إذ نشأت بين بواديها وترعرعت في وهادها، واستمدت من وهج الصحراء دفء المشاعر؛ ومن رياح الصبا الرقة والعذوبة، وَولدت القصيدة الجاهلية في هذه البيئة الصحراوية وكانت باسقة كنخلها ولها هيكلها الثابت؛ الذي يبدأ بالغزل أياً كان نوعه ( أي سواء الشاعر عاشقا، أو يدعي العشق)،ثم يقف على الأطلال ويدلف بعدها لوصف الراحلة التي استغلها للوصول لديار محبوبته للقرب منها والتمتع برؤيتها، أو ممدوحه لنيل عطاياه وهباته، ثم يخلص للغرض الأساسي الذي نظم القصيدة من أجله.ووعى الشعراء هذه الضوابط واقتفوا آثار من سبقوهم من الشعراء، . وإن تمرد قلة منهم على هذه الأصول . ، فترجموا أحاسيسهم في قصائد باسقات لها طلع نضيد.

ولم يتمذهب الشعراء في الماضي في مذاهب أدبية؛ ولكن ميز ابن قتيبة بين ثلاثة ألوان من الشعر هما المطبوع والمصنوع و المتكلف :. فالشعر المطبوع هو من سمح فيه صاحبه بالشعر واقتدر على القوافي وأراك في صدر بيته عجزه ، وفي فاتحته قافيته وتبينت على شعره رونق الطبع ، ووشي الغريزة ، وإذا امتحن لم يتلعثم ولم يتزخر، والمتكلف فهو الذي قوم شعره بالثقاف ونقحه بطول التفتيش وأعاد فيه النظر بعد النظر، كزهير والحطيئة ،وغيرهما الذين قال فيهم الأصمعي إنهم عبيد الشعر لأنهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين".[11]ويرادف الجرجاني

---

[10] المسرحية نشأتها وتاريخها وأصولها : عمر دسوقي، دار الفكر العربي القاهرة، الطبعة الخامسة،د. ت. ص / 142.

[11] الشعر والشعراء : ابن قتيبة الدينوري، دار الثقافة 1964م الجزء الأول ص / 34.

وابن رشيق بين التكلف والتصنع؛ فالأول يعني تعمد الإغراب بمفارقة الطبع والمبالغة في الاحتذاء إلى حد الإحالة ، بينما أراد الثاني مخالفة الطبع. [12]

ولم تكن فكرة الالتزام واضحة بينة للعيان؛ لأن الرجل الجاهلي بفطرته التزم بعدد من العادات أو التقاليد التي صارت جزءاً من سلوكه العام، ويدور فلك التزامه في معناه البسيط في محور الفضائل، ومكارم الأخلاق من نجدة، وفروسية، وكرم وحلم؛ وقد لخص زهير بن أبي سلمى كل هذه الصفات السامية ومدح بها هرم بن سنان والحارث بن عوف وقبيلتيهما بقوله :.

**إذا فَزِعُـــوا طَـــارُوا إلـــى مُسْـــتَغِيثُهمُ ... طِـــوَالَ الرِمَـــاحِ لاَ ضِـــعَافٌ وَلاَ عُـــزْلُ**
**بِخَيْـــلٍ عَلِيْهَـــا جِنَّـــةٌ عَبْقَرِيّـــةٌ ... جَـــدِيرُونَ يَوْمَـــاً أَنْ يَنَـــالُوا فَيَسـْـتَعْلُوا**
**وإنّ يُقْتَلُـــوا فَيُشَـــتَفى بِـــدِمَائِهم ... وَكَـــانُوا قَـــدِيماً مِـــنْ مَنَايَـــاهُمُ القَتْـــلُ**
**عَلَيْهَـــا أُسُـــودٌ ضَـــارِيَاتٌ لَبُوسُـــهم ... سَـــوَابِغُ بِـــيْضٌ لاَ تُخَرِّقُهَـــا النَّبْـــلُ**
**إذَا لَقَحِـــتْ حَـــربٌ عَـــوَانٌ مُضَـــرّةٌ ... ضَـــرُوسٌ تُهِـــرّ النَـــاسَ أَنَيَابُهَـــا عُصْـــلُ**
**قُضَـــاعّيَةٌ أَوْ أُخْتُهـــا مُضَـــرِيَةٌ ... يُحَـــرَّقُ فِـــي حَافَاتِهَـــا الحَطَـــبُ الجَـــزْلُ**
**هُـــمُ خَيْـــرُ حَـــيّ مِـــنْ مَعَـــدٍّ عَلِمـــتُهْم ... لَهُـــم نَائِـــلٌ فِـــي قَـــوْمِهُمْ وَلَهُـــمْ فَضْـــلُ[13]**

ولا تنفك كل هذه المثل والقيم عن خارطة منظومة الالتزام بالقبيلة وقوانينها السياسية، وأعرافها الاجتماعية؛ لذا صار الشاعر المتحدث الرسمي باسم قبيلته، ولسان حالها في المحافل، يتغنى بأمجادها ليرفع قدرها بين القبائل ومن أمثلة الالتزام القبلي دالية دريد بن الصمة( 512م . 632 م) التي يقول فيها [14] :.

**وَمَـــا أَنَـــا إلاَّ مِـــنْ غَزِيَّـــةٍ إنْ غَـــوَتْ ... غَوَيْـــتُ وإنْ تَرْشُـــدْ غَزِيَّـــةُ أَرْشُـــدِ[15]**

وفي الشعر العربي الحديث ظهر هذا اللون من الشعر "الكلاسيكي" في منتصف القرن التاسع عشر، وامتد إلى بداية القرن العشرين، وتعددت مسمياته في هذا العصر؛ فمنهم من أطلق عليه الشعر التقليدي لما فيه من محاكاة وتقليد للشعر القديم، والمحافظة على التراث الأدبي القديم، وأساليبه،. وهذا دليل وشاهد على أن الكلاسيكية قد نمت داخل رحم الأدب العربي، ومن المسميات

---

[12] الوساطة : عبد العزيز الجرجاني تحقيق محمد أبو الفضل وعلي البجاوي، مطبعة عيسى الحلبي، ب. ت، ص/19. والعمدة في صناعة الشعر ونقده: ابن رشيق القيرواني تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة دار الجيل بيروت1981م،الجزء الأول ص/ 129

[13] شرح ديوان زهير بن أبي سلمى : الحجاج يوسف بن سليمان ( الأعلم الشمنتري ) المطبعة الحميدية المصرية 1905م ، ص/ 17– 21.

[14] ديوان دريد بن الصمة: تحقيق عمر عبد الرسول ، دار المعارف بمصر، د. ت ، ص/ 8 - 9.

[15] المرجع السابق: ص/ 62 ، والأصمعيات: ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون،دار المعارف مصر 1955م ، ص/ 112.

كذلك شعر الإحياء لأن أصحابه أعادوا للشعر سيرته الأولى ، كذلك أطلق عليه عمود الشعر أي يوازي الشعر العربي القديم من ناحية الجزالة والقوة . وفي مصر كان منشأه بزعامة محمود سامي البارودي( 1838م . 1904م)،[16] وعرف بشعر الاتجاه المحافظ أو الاتباعيين، وكان همهم الأكبر تخليص الشعر مما لحق به من ضعف واضمحلال، فقد استعار البارودي من الشعر العربي القديم أطره، وأساليبه، وفي الوقت نفسه جعل القصيدة تتزي بزي العصر الذي تعيش فيه بعد أن ضمخها بأنفاسه، ومن أمثلة ذلك ميميته التي نظمها بغرض مدح خديوي مصر، و فيها تراه يتحسس خطوات أسلافه من الشعراء القدامى إذ يبدأها بالغزل :.

**لِعِـــزَّةِ هَـــذِي اللَّاهِيـــاتِ النَّـــوَاعِمِ تَـــذِلُّ عَزِيـــزَاتُ النُّفُـــوسِ الكَـــرَائِمِ**
**فَمَـــا كُنْـــتُ لَـــوْلاَهُنَّ تَهْتَـــاجُنِي الصَّـــبَا أَصِـــيلاً وَيُشْـــجِبنِي هَـــدِيرُ الْحَمَـــائِمِ**
**وَلاَ شَـــاقَنِي بَـــرْقٌ تَـــأَلَّقَ مُوْهِنَـــاً كَزَنْـــدِ تَـــوَالى قَدْحَـــهُ كَـــفُّ ضَـــارِمِ**
**وَبَيْضَـاءَ رَيَّـا الـرِّدفِ مَهْضُـومَةِ الْحَشَـا يُقِـــلُّ ضُـــحَاهَا جُـــنْحَ أَسْـــوَدَ فَـــاحِمِ**
**مِـنَ الْعِـينِ يَحْمِـي خِـدْرَهَا كُـلُّ ضَـيْغَمٍ بَعِيـدِ مَشَـقَّ الجَفْـنِ عَبْـلِ المَعَاصِـمِ[17]**

وسار على نهجه حافظ إبراهيم(1811م . 1932م)[18] وأحمد شوقي ( 1868م . 1932م)[19] ، وتحسسوا خطوات من سبقوهم من الشعراء القدامى؛ أي التزموا بالقوالب الشعرية القديمة أو القواعد القديمة للقصيدة الجاهلية؛ فلم يخرجوا على أوازن الخليل، كما التزموا بالقافية والروي من أول بيت في القصيدة إلى آخر بيت؛ أي لم يكن هَمْ هذه الفئة من الشعراء تجديد القوالب الشعرية بل صبوا جل اهتمامهم بالشكل، كما حرصوا على متانة الأسلوب، ومن أمثلة ذلك قول شوقي في نهج البردة :.

**رِيـــمٌ عَلـــىَ القَـــاعِ بَـــينَ البَـــانِ وَالعَلَـــمِ أَحَـــلَّ سَـــفْكَ دَمِـــي فِـــي الأَشْـــهُرِ الحُـــرُمِ**
**رَمَـــي القَضَـــاءُ بِعَيْنَـــي جُـــؤذَرٍ أَســـداً يَـــا سَـــاكِنَ القَـــاعِ، أَدْرِكْ سَـــاكِنَ الأَجَـــمِ[20]**

وتداعت البيئة البدوية لشوقي عندما وقف على جبل التوباد المطل على ديار بني عذره وحياه ودعا له بالسقيا في مسرحية مجنون ليلى:.

**جَبَـــلَ التَّوْبَـــادِ حَيَـــاكَ الحَيَـــا وَسَـــقَى اللهُ صَـــبَانَا وَرَعَـــى[21]**

---

[16] ديوان البارودي : ضبط وشرح علي الجارم ومحمد شفيق، المطبعة الأميرية بالقاهرة 1954م الجزء الأول ،ص / هـ ــ ( التقديم )
[17] ديوان البارودي:تحقيق وضبط محمد شفيق معروف الجزء الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1972م ، ص/ 290 - 285.
[18] ديوان حافظ إبراهيم: ضبط أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الثالثة 1987م،ص/53 -66
الأعلام: خير الدين الزركلي دار العلم لملايين ، الجزء الأول ص/ 126 – 127
[19] الشوقيات : أحمد شوقي ، دار الكتاب العربي بيروت لبنان الطبعة الحادية عشرة 1986م ، الجزء الأول، ص/ 190.
[20] مجنون ليلى: أحمد شوقي ، المطبعة التجارية الكبرى بمصر،1955م، ص / 120
[21]

وهذه الصورة الحديثة التي تمثلها شوقي هي عين الصورة التي تناولها مجنون ليلى ( توفي 147هـ ) في نونيته:.

**وَّأَجْهَشْـــتُ لِلتَّوْبَـــادِ حِـــينَ رَأَيْتُـــهُ وَهَلَّـــلَ لِلـــرَّحْمَنِ حِـــينَ رَآنِـــي**[22]

وفي مجال النثر ظهر أثر الكلاسيكية في مسرحيتي" علي بك " و" مصرع كليوباترا " لأحمد شوقي،[23] ثم تبعها العديد من المسرحيات.

وإذا كان القرن السابع عشر قد عرف الكلاسيكية التي التزمت بقواعد اللغة وأصولها، واهتمت في الوقت نفسه بالنواحي الأسلوبية والصياغة؛ وعافت التعقيد ونفرت عن كل لفظ غريب؛ فكل ما ذهب إليه أصحاب هذا المذهب ما هي إلا عين الضوابط التي التزم بها الأدب العربي القديم، لذا يمكن القول أن أصول الكلاسيكية كان مهدها الأدب العربي القديم؛ أما ما طفح على السطح بعد عصر النهضة في أوربا ما هو إلا امتداد طبيعي للأدب في عصور ازدهاره؛ التي بدأت بالعصر الجاهلي وامتدت إلى نهاية العصر العباسي.

وفي أواخر القرن الثامن عشر تملل الناس من القيود التي فرضها عليهم النظام الملكي، كذلك ضاقوا ذرعاً بالكلاسيكية، فالكلاسيكية والملكية وجهان لعملة واحدة؛ لذا حاولوا الهروب من ضجيج المدن إلى الأرياف، فكان ميلاد الرومانسية.

**المذهب الرومانسي:** ROMANTICISM

نشأ هذا المذهب في أوربا خلال القرن الثامن عشر عقب الثورة الفرنسية على يد جان جاك روسو ؛ حيث كانت الفلسفة تطغى على هذا العصر. وفي الرومانسية نجد الشقة واسعة بينها وبين العقل؛ وهمها الوقوف على أتراح الناس وأفراحهم، وكثيراً ما يهرب الشاعر إلى الطبيعة مناجياً وشاكياً؛ فصارت الطبيعة بمثابة المحراب الذي يلوذ به الشاعر في محاولة للخروج من دوامة المعاناة التي يجدها من عالم الطين. لذا سمى بأدب الريف حيث تروق الطبيعة للمتأملين. ويتأرجح أصحاب هذا المذهب بين الاعتدال والتطرف. ويشير محمد غنيمي هلال إلى مجالات الشعر الرومانتيكي بقوله:. " أوسع مجالات الشعر الرومانتيكي مجال الحب، وكان طابعه العام الحزن والشكوى من عدم وفاء الحبيب، وقلما كان الرومانتيكي يعني بلذائذ الحب الحسية، وإنما كان حبه عاطفياً حالماً، يمتاز بأنه يضيق بالعقبات التي تعترض طريقه، ويثور عليها ولو كان مصدرها القوانين، أو نظم المجتمع،

---

[22] ديوان مجنون ليلى: جمع و تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار مصر للطباعة، د. ت ، ص/ 283.

[23] مسرحيات شوقي : محمد مندور ،دار نهضة مصر القاهرة 1982م، ص / 13.

وكثراً ما يتجاوز الرومانتيكي حدود عاطفته الفردية إلى مسائل اجتماعية عامة أو فلسفية ، لذلك ينفرد شعر الرومانتيكي في الحب بأنه مزيج من معان صوفية وفلسفية، واجتماعية تصدر عن فكر حر من كل قيد " .[24]

في بادي الأمر ثار الرومانسيون ضد قيود الكلاسيكية، ورفضوها إلا أنهم التزموا بعدد من المبادئ منها الوقوف في وجه كل الضوابط التي فرضتها الكلاسيكية، كما صبوا جل اهتمامهم بالنفس الإنسانية، واتجهوا نحو البادية بحثاً عن الهدوء والبساطة والأصالة، وهروباً من ضجيج المدينة الذي يعكر صفاء الفكر، كما أطلقوا العنان لخيالهم ليصول ويجول دون رقابة من العقل ونفوذه، كما نادوا بالإبداع والابتكار، والتجديد ورفض التقليد والمحاكاة .ومن رواد هذا المذهب جان جاك روسو في فرنسا[25] ، وبايرون في انجلترا.[26] ومن أمثلة الشعر الرومانسي قصيدة البحيرة للشاعر لامارتين

**وَهَكَذَا نَظَلُ مُنْدَفِعَينَ نَحْوَ شَطَانٍ جَدِيدَةٍ**
**نَضْرِبُ فِي لَيلِ الأَبَدِ إِلَى غَيْرِ عَوْدَةٍ**
**أَفَلاَ نَسْتَطِيعُ . فَوْقَ مُحِيطِ السِنينِ . أَنْ نُرْسِي القِلاَعَ يوماً** [27]

كذلك من أمثلة الشعر الرومانسي رثاء فكتور هيجو لابنته

**غَدَاً مُنْذَ فَجْرِ الصّبَاحِ**
**وَحِينَ يَغْشَى البَيَاضُ**
**مَزَارِعُنَا كَالوِشَاحِ**
**سَأَمْضِي إِلَيْكِ**
**فَهَل تَبْصِرِينَ ؟** [28]

وتأصيلاً لهذا المذهب في الأدب العربي القديم أشير إلى أنه جاء كرد فعل طبيعي للفطرة السوية التي فطر الله تعالى عليها عباده؛ لأن الإنسان منذ أن شق الله سمعه وبصره استقبل الحياة وتفاعل معها بوجدانه في كل تقلباتها من فرح وحزن، ولذا سمي الشعر شعراً لأنه نتاج طبيعي لما يعتلج داخل النفس البشرية من معاناة، ومن ذلك قول البحتري ( 205هـ . 284هـ )[29]

---

[24] الرومانتيكية : محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ت ، ص/ 175 - 176.
[25] جان جك روسو فيلسوف فرنسي توفي 1778م ومن آثاره العقد الاجتماعي " وإميل " ـ نحو مذهب أسلامي ، الباشا،ص/ 49 هامش 1
[26] جورج جوردن بايرن، شاعر انجليزي، من آثاره النبيل هارولد التي ترجمت للعربية توفي 1824م، المصدر السابق ، ص/ 50 هامش 5
[27] النقد الأدبي الحديث: محمد غنيمي هلال ، دار النهضة العربية القاهرة 1964 م، ص/ 415
[28] الرومانسية في الشعر الغربي والعربي: إيليا حاوي، دار الثقافة بيروت ، الطبعة الثانية 1983م ص/ 63
[29] ديوان البحتري:المجلد الأول، دار صادر بيروت د. ت . ص/ 5.

**أَتَــاكَ الرَبِيــعُ الطَلْــقُ يَخْتَــالُ ضَــاحِكاً  مِــنْ الحُسْــنِ حَتَــى كَــادَ أنْ يَتَكَلَّمــاَ** [30]

كذلك قول ابن الرومي( 221هـ . 284هـ ) [31]في وصف وردة :.

**وَمونِقِــــةِ الــــرُّوَّادِ مُهْتَــــزَّةِ الرُّبَــــا  يُحَاسِــــنُهَا سَــــارٍ وَغَــــادٍ وَرَائِــــحِ**

**تُضَــــــاحِكُ نُوَّارَاتُهــــــا زَهَرَاتَهــــــا  لَهَــا أَرَجٌ فِــي نَــافِحِ القَطْــرِ نَــافِحِ**[32]

كذلك كل مظاهر الطبيعة ما هي إلا آية من آيات الله تعالى، وعلى الفرد المسلم أن يتفكر ويتدبر في ملكوت الله تعالى حتى يزداد إيماناً. ومن مظاهر وصف الطبيعة قول ابن خفاجة في وصف الربيع ( 450هـ . 533هـ )[33] :.

**وَالنَّــوْرُ طَــرْفٌ قَــدْ تَنَبَّــه دَامِــعٌ  وَالمَــاءُ مُبْتَسِــمٌ يَــرُوقٌ صَــقِيلُ**

**وَتَطَلَّعْــتُ مِــنْ بَــرقِ كُــلّ غَمَامَــةٍ  فِــي كُــلّ أُفْــقٍ رَآيَــةٍ وَرَعِيــلُ**

**حَتَــى تَهَــادى كُــلُّ خُوطَــةِ أَيْكَــةٍ  رِيَّــاً وَغَصَــتْ تَلْعَــةٌ وَمَسِــيلُ**

**عَطَــفَ الأَرَاكــةِ فَانْثَنَــتْ شُــكْرَاً لَــهُ  طَرَبــاً وَرَجَّــعَ فِــي الغُصُــونِ هَــدِيلُ**

**فَــالرَوْضُ مُهْتَــزُ المَعَــاطِفَ نَعْمَــةٌ  نَشَــوانُ بِعَطِفِــه الصَّــبا فَيَمِيــلُ**

**رَيَــانُ فَضَضَــهُ النَّــدَى ثُــم انْجَلَــى  عَنْــهُ فَــذَهَبُ صَــفَحَتِيهِ أَصِــيلُ**[34]

ولمدة قرن ونصف من عمر الزمان كانت الرومانسية بمثاليتها وقيمها تفرض سيطرتها على الساحة، ولكن سرعان ما بدأت شواطئها في الانحسار أمام تيار جديد ينظر للإنسان بنظرة واقعية ويأبي السطحية فكان ميلاد المذهب الواقعي.

**المذهب الواقعي** REALISM

الواقع عند النحاة اسم فاعل من وقع، وعند صاحب اللسان توقع الشيء واستوقعه تنظره وتخوفه[35]، وفي أساس البلاغة توقعت الأمر: ترقبت وقوعه، ووقع الأمر حصل ووجد.[36] " والواقعية الأدبية بمعناها العام والواسع هي كل ما يمتاز به الأدب من تصوير دقيق للطبيعة والإنسان، مع

---

30. المرجع السابق: ص / 147.
31. ابن الرومي حياته من شعره:عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، الطبعة السابعة 1968م، ص/ 15
32. ديوان ابن الرومي: شرح محمد شريف سليم مطبعة مصر1922م، الجزء الثاني، ص / 73.
33. ديوان ابن خفاجة : مصطفى سلامة النجاري المطبعة الخاصة بجمعية المعارف المصرية 1286هـ ، ص /6.
34. المرجع السابق: ص / 105 – 106.
35. لسان العرب: ابن منظور، المجلد السادس، ص/ 4896 مادة وقع.
36. أساس البلاغة : محمود بن عمر الزمخشري دار الكتب والوثائق القومية القاهرة 1923م، وقع .

العناية الكبيرة بالتفاصيل المشتركة للحياة اليومية".[37] ولد هذا المذهب في منتصف القرن التاسع عشر؛ الذي شهد العديد من مظاهر الإبداع، كما نشأت العديد من العلوم التطبيقية كالرياضيات والهندسة وغيرها من العلوم، فضلاً عن التطور الصناعي الذي أفرزه ازدهار الحياة الاقتصادية، مما أدى إلى تثبيت دعائم الواقعية في النفوس.وكان على رأس المذهب الواقعي بلزاك ( 1799م . 1850م).

والالتزام عند الواقعيين منبعه التزامهم السياسي والاقتصادي لمذهب الاشتراكية، والتي تدعو إلى سيادة الطبقة العاملة وذلك انطلاقاً من قول ماركس:" ليس وعي الناس هو الذي يحدد وجودهم الاجتماعي ؛بل على العكس من ذلك أن وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم غير أنهم يرون أن الأدب ليس مجرد انعكاس سلبي للبنية الدنيا وإنما ذو قوة تأثيرية قادرة على التعبير، من هنا كان اعتقادهم بأن الأدباء هم مهندسو الأرواح البشرية ووظيفة الأدب إحداث التوازن بين الإنسان وعالمه".[38] فالواقعية تهدف إلى تغير الواقع والارتقاء به إلى واقع مثالي .[39] فضلاً عن تأثرها بالفلسفة الاجتماعية والمادية والوضعية والتجريبية.[40] ومن أمثلة الشعر الواقعي قصيدة الشاعر الأمريكي بابلو نيرودا والتي يقول فيها:.

**لَقْد غَنَيْتُ بِالأَمْسِ المَاءَ وَالزَمَانَ**
**وَوَصَفْتُ الحُزْنَ وَمَعَدنَهُ البَنَفْسَجِي**
**غَنَيْتُ السَّمَاءَ وَالتُفْاحَ**
**أَمَا الآنَ فَسَأُغَنِيكِ[41]**

وعلية فالواقعية ما هي إلا ضوابط تنظم حياة الفرد بما تطرحه من مثل وقيم . وأرى أن الواقعية جذورها ضاربة في أعماق الأدب العربي القديم؛ فقد سبقت بآلاف السنين ما ذهب إليه علماء الغرب، فإذا كان من أهم مقومات الواقعية الغربية " إخضاع الفن للعقيدة أو جعل الفن يمزج ما بين الغاية والوسيلة، الغاية هي خير الإنسان وسعادته أما الوسيلة فيجب ألا تستهدف المتعة لذاتها، أو الجمال لذاته".[42] ومن هذا المنطلق يتضح لنا أن البدايات الأولى للشعر العربي القديم ارتبطت بالعقيدة إذ كان الشعر عبارة عن أغاني الكهان. وربط نيكلسون الشعر العربي القديم بالكهانة وذهب

---

الواقعية النقدية : س. بيتروف، ترجمة شوكت يوسف ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق 1983م، ص/ 37.57
الالتزام في الشعر العربي: أحمد حاقة، دار العلم للملايين، بيروت 1979م / 38.12
النقد الأدبي الحديث : محمد غنيمي هلال ، ص/ 297 - 29839
المرجع السابق: ص / 327 - 40.430
فن الشعر: إحسان عباس، ص / 113. [41]
النقد الأدبي الحديث : محمد غنيمي هلال، ص / 339 ( حاشية 3 ).[42]

إلى أن الشاعر الوثني القديم هو كاهن القبيلة وهاديها إلى السلم ، وبطلها إلى الحرب فإليه يرجعون في المشورة عندما يبحثون عن مراع جديدة وبكلمة منه يضربون طنبهم أو يقتلعونها " [43]

وفي العصر الجاهلي صور الشعراء في قوافيهم المتناثرة واقع الحياة الجاهلية أصدق تمثيل؛ فقد فحفل الشعر الجاهلي بعاداتهم وتقاليدهم، كما تناول الحياة السياسة والدينية لذا سمي الشعر ديوان العرب؛ ومن ذلك معلقة عمرو بن كلثوم؛ التي بلغت المائة وثلاثة بيتاً ، فقد صور فيها الحياة الجاهلية أصدق تصوير؛ من شرب خمر وغزل وفخر وكرم ، وشجاعة عندما ينادي منادي الحرب فقد تناول بالوصف الحرب التي دارت رحاها بين بكر وتغلب واستمرت لمدة أربعين عاماً واستهلها بوصف الخمر قائلاً :.

**أَلاَ هُبِّـــي بِصَـــحْنَكِ فَأَصْـــبِحِينَا وَلا تَبْقِـــي خُمُـــورَ الأَنْـــدَرِينَا[44]**

ثم يدلف لوصف الحرب

**مَتَـــى نَنْقُـــلُ إلـــى قَـــوْمٍ رَحَانَـــا يَكُونُـــوا فِـــي اللِقَـــاءِ لَهَـــا طَحِينَـــا[45]**

ونلمس واقعية أدب الاتجاه الإسلامي في كل زاوية من زواياه، فقد وثق شعراء هذه المرحلة كل الأحداث حتى صارت قصائدهم عبارة عن وثائق تاريخية أو سجلات حربية وصفت بدقة كل ما دار من أحداث ومن ذلك رائية كعب بن مالك في إجلاء بني النضير ومصرع زعيمهم كعب بن الأشراف:.

**لَقَـــدْ خَزِيـــتْ بَغـــدْرتِها الحُبُـــور كَـــذَاكَ الـــدّهْرُ ذُو صَـــرْفٍ يَـــدُورُ**
**وَذَلِـــك أَنَّهـــم كَفَـــرُوا بِـــرَبَّ عَزِيـــزٍ أَمْـــرُهُ أَمْـــرٌ كَبِيـــرُ**
**فَلَمَّـــا أُشْـــرِبُوا غَـــدْراً وَكُفْـــراً وَجَـــدَّ بِهُـــمْ عَـــنْ الحَـــقِ النُّفُـــورُ**
**فَغُـــودِرَ مَـــنْهُم كَعْـــبٌ صَـــرِيعاً فَـــذَلَتْ بَعْـــد مَصْـــرَعِه النَّضِـــيرُ[46]**

أما في الأدب العربي الحديث كانت رواية زينب لمحمد حسنين هيكل، والأيام لطه حسين والعديد من الروايات.[47]ومن أمثلة الشعر الواقعي في الأدب العربي الحديث قصيدة " شنق زهران "للشاعر

---

[43] تاريخ الأدب العربي: رينولد نيكلسون ، ترجمة صفاء خلوصي بغداد 1969م، ص/ 128. وتاريخ الأدب العربي لكارلونالينو دار المعارف بمصر 1970م، ص/ 65. وتاريخ العرب قبل الإسلام: جواد علي الطبعة الثانية 1978م، الجزء التاسع ص / 406.

[44] شرح المعلقات السبع : أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني ، دار القلم بيروت، د. ت ، ص / 166.

[45] المرجع السابق: ص / 174.

[46] السيرة النبوية: ابن هشام الجزء الثاني، 180.

[47] القصة في الأدب العربي الحديث: محمد يوسف نجم، المكتبة الأهلية ببيروت 1961م ، ص / 187 – 195.

صلاح عبد الصبور والتي وصف فيها الظلم والقهر الذي يعيشه المجتمع المصري من خلال حادثة دنشواي :.

**مَرَ زَهْرانُ بِظَهْرِ السُوقِ يَوْمَاً**
**وَرَأىَ النَارَ الَّتي تَحْرِقُ حَقْلاً**
**وَرَأى النّارَ الَّتي تصرع طفلاً**
**كَانَ زَهْرَانُ صَدِيقاً لِلحَيَاةِ**
**وَرَأى النَيرانَ تَجْتُاحُ الحَيَاةَ**
**مَدَّ زَهَرْانُ إلى الأَنْجُمِ كَفْاً**
**وَدَعَا يَسْأَلُ لُطْفَاً**[48]

ونخلص إلى أن الأدب العربي القديم احتضن بذور الواقعية بعفوية؛ أي دون تخطيط سابق لذلك؛ فقد كانت واقعية تلقائية صدرت من إنسان بسيط وبصورة عفوية، لذا جاءت خالية من كل مظاهر التعقيد الذي يصنعه الإنسان وسرعان ما يتضجر منه.

وشهد أواخر القرن التاسع عشر ( 1885م) ظهور إشارات ورموز في الأدب الفرنسي، فسرت على أساس أنها تصور خاص يعتقد بوجود مجموعة من الرموز قادرة على التعبير عن الأفكار والأحداث والعقائد، فكان ميلاد الرمزية [49]

**المذهب الرمزي**: SYMBOLISM

الرمز لغة يعني الإيماء والإشارة [50]وورد في الذكر الحكيم على لسان زكريا :. { **قَالَ رَبِّ أَجْعَل لِيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَ تُكَلِمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَامٍ إِلاَ رَمْزَاً .....**).[51]

واصطلاحاً عند الأدباء يعني وسيلة للتعبير عن التجارب الأدبية المختلفة بواسطة الرمز.[52] وظهرت الرمزية كمذهب أدبي إلى حيز الوجود في فرنسا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتقوم على مبدأ نبذ الإفصاح والعرض والاستعاضة عنهما بالتلميح أو الإيحاء،

وانبثقت هذه النظرية من نظرية أفلاطون (المثل) وفلسفتها ترتكز على إنكار الحقائق المحسوسة، بل النظر إلى ما ترمز إليه من دلالات، والركيزة الثانية أن الإنسان يتمتع بعقل

---

[48] ديوان صلاح عبد الصبور المجلد الأول والثاني، الطبعة الرابعة دار العودة بيروت 1983م، ص / 18 ـ 22
[49] في الأدب ومذاهبه المعاصرة :علي عبد الخالق ذومة ، دار قطري بن الفجاءة الدوحة ، الطبعة الأولى 1990م.ص / 257.
[50] المعجم الوسيط، ص / 372 مادة رمز.
[51] سورة آل عمران آية / 41.
[52] نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد: عبد الر حمن رأفت الباشا، ص / 85.

ظاهري واعي محدود وعقل باطني غير واع ولكنه أرحب من العقل الواعي.[53]ومن نماذج الشعر الرمزي أنشودة الخريف لفرلن زعيم الرمزية:. "**إن التنهدات الطويلة المنبعثة من قيثارة الخريف تجرح قلبي بانحطاط مستمر. كل شيء خانق وباهت ، وعندما تدق الساعة أتذكر الأيام القديمة، وأبكي ، وانطلق مع الريح التي تحملني إلى هنا وهناك شبيهاً بالورقة المائتة.**" [54]

ويقابل هذا المعنى قول الشريف الرضي :.

**لاَ عَـــادَتِ الكَـــأْسُ عَلِيـــلَ النّسِـــيمْ بَعَـــدَي وَلاَ فُضّـــتْ خَتِـــامُ الهُمُـــومْ**
**فِـــي لِيْلَـــةٍ غَـــابَ مَعِـــي بَـــدْرُهَا وَحَارَبْتُهَـــا فِـــي الْظّـــلاَمِ النّجُـــومْ**
**يّـــا لّيْلَـــةً تَكْسِـــرُ أَلْحَاظَهَـــا كَأَنّهَـــا مَكْحُولَـــةٌ بِـــالغُيُومْ**
**أَحَيـــتْ شَـــآبِيبُ الحَيَـــا مَنْـــزِلاً مَـــاتَ لَنَـــا فِيـــهِ الزّمَـــانُ القَـــدِيمْ**
**كَـــمْ صَـــبَغَ الـــدّهْرُ قَمِـــيصَ الثّـــرَى وَعَـــادَ رِقُّ الأَرْضِ ضَـــاحِي الوُشُـــومْ**
**لِـــي فِـــي حَوَاشِـــي البَـــرْقُ أُنْـــسٌ ، فَـــلاَ أَدْرِي أَأُغْضِـــي دُونَـــه أَمْ أَشـــيمْ**[55]

" ولم تعرف الآداب العالمية أدباً تغلغل في أعماق النفس أو عبر عن تلك الانفعالات الخفية الغامضة، وتلك الخلجات المرتعشة في زوايا الروح، كما عبر عنها الأدب الرمزي. ولم يعرف الشعر تلك الحيرة اللذيذة السابحة بين الوضوح والإبهام ، كما عرفه في الأدب الرمزي، الذي وحد بين ارتعاشات القلب البشري وبين عناصر الطبيعة ، وأعرب عن الرابطة الخفية رابطة الجمال والحياة؛ التي توحد بيننا وبن الكائنات ، فلا نكاد نظهر على مسرح الوجود حتى نتوارى كما يتوارى كل ما حولنا".[56]وفي الشعر العربي الحديث تزعم جبران خليل جبران المدرسة الرمزية، ومن شعره الصوفي قوله :.

" **أَنْتِ الجَّمَالُ فِي عَيْنِّي وَالشّوْقُ فِي قَلْبِي وَالخُلُودُ فِي رُوحِي.**
**أَنْتِ أَنَا أَيَتُها الأَرْضُ . وَلَمْ أَكُنْ لِمَا كُنْتِ** " [57]

أما في الأوساط الصوفية فالكلمة يكملها التعبير بأشكاله المختلفة، سواء كان التعبير الساكن أو التعبير المتحرك،"وكان للصوفية في التتّيم مثال بارز في تراث الحب العربي يحتذونه في أحوالهم وأشعارهم ويقدمونه على العشاق المتيمين، هو مجنون ليلى ".[58] ومن أمثلة الشعر الصوفي قول الصوفي الكبير ابن عطاء ( توفي 309هـ ) [59]:.

---

[53] نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد: عبد الرحمن رأفت الباشا، ص / 86.
[54] الشريف الرضي بودلير العرب : محفوظ ، منشورات مكتبة بيروت 1944م ص / 17.
[55] ديوان الشريف الرضي: المجلد الثاني منشورات وزارة الإرشاد الإسلامي بقطر ،الطبعة الأولى بإيران 1406هـ ، ص / 362 – 363.
[56] الشريف الرضي بودلير العرب : محفوظ ، ص / 83.
[57] البدائع والطرائف ( المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران) تقديم مخائيل نعيمة ، دار صادر بيروت 1964م ، ص /532 –536.

**إذا أَهْـــــلُ العِبَـــــارَةِ سَـــــاءَلَونَا أَجِيْبنَـــــاهُمْ بِـــــأَعْلاَمِ الإِشَـــــارَةِ**

**نَشِـــيرُ بِهَـــا فَنَجْعَلُهَـــا غُمُوضَـــاً تَقَصْـــرُ عَنْـــهُ تَرجَمـــةُ الإِشَـــارَةِ**[60]

وهنالك فرق جوهري بين التزام هذه المذهب الأدبية السالفة الذكر وبين التزام الأدب الإسلامي؛ إذ قطعت الأولى صلتها بالسماء، أي التصقت بالأرض التصاقا . فضلاً عن الصراع الذي يسيطر على كيان هذه المذاهب والذي يدل على مدى عجز الإنسان من السيطرة على عاداته والتحكم على شهواته. ومن هذا المنطلق نجد أن الالتزام في الإسلام يعني تمام الانقياد لله تعالى، والخضوع لجلال وجهه والتمسك بالتعاليم التي أمر الله سبحانه وتعالى بها، وارتضاها لعباده،أي التزام نظري والتزام عملي ، لذا نجد أن المسلم يستمد حريته من عقيدته،إذ أن تمام حرية الإنسان تكمن في كامل العبودية لله تعالى .

ونخلص من هذا العرض أن كل هذه المذاهب الأدبية التي نشأت في الغرب بعد عصر النهضة ما هي إلا رد فعل طبيعي لتفاعل الإنسان مع البيئة المحيطة به، فضلاً عن تأثره بالتيارات التي كانت سائدة في تلك المرحلة كالتيارات الفلسفية والفكرية والاجتماعية،وقد خلقت هذه المذاهب استجابة لحاجة الجماعة، فالكلاسيكية كانت من أجل حاجة العقل. والرومانسية كانت ترنو لوجود عالم مثالي لمخاطبة الطبيعة ومناجاتها. وجاءت الواقعية لتصور واقع الجماعة بكل أبعاده من أفراح وأتراح ، أما الرمزية فقد رنت ببصرها لما وراء الطبيعة حيث تتحد مع صفاء الروح. وكل هذه المذاهب يجمعها فن الكلمة كما أشار صاحبا كتاب نظرية الأدب:" وإن أي معالجة حديثة لعملية الإبداع ستهتم أول ما نهتم بالأدوار النسبية التي يلعبها العقل الواعي والعقل الباطن، قد يكون من السهل أن نعارض المراحل الأدبية بعضها مع بعض آخر : أن نميز المرحلتين الرومانسية والتعبيرية اللتين تشيدان باللاشعور من المرحلتين الكلاسيكية والواقعية اللتين تشددان على الذكاء والتنقيح والتواصل ". [61]

وحمل رحم الأدب العربي القديم فيما حمل من علوم ومعارف . كانت سبب حضارة ونهضة البشرية . النواة الأولى لتلك المذاهب الأدبية المختلفة؛ التي تشتت في البيئات فصبغتها كل بيئة بصبغتها الخاصة ، ولونتها حسب مقتضيات الحاجة؛ التي ابتعدت بطريقة أو أخرى عن الفطرة السوية التي فطر الله تعالى عليها عباده .

---

58 تجليات الشعر الصوفي قراءة في الأحوال والمقامات: أمين يوسف ،المؤسسة العربية للنشر،الأردن الطبعة الأولى2001م،ص/ 215.

59 هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي ووصفه أبو العباس سعيد الخزاز بقوله : ـ إن التصوف خُلُق وما رأيت من أهله إلا الجنيد وابن عطاء الأدمي أنظر الموسوعة الصوفية : عبد المنعم حنفي، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى 2003م،ص / 415.

60 المرجع السابق: ص / 621.

61 نظرية الأدب : رينيه ويلك وأورين أوستن، ترجمة محي الدين صبحي المؤسسة العربية الطبعة الثانية بيروت 1981م ، ص / 95

المحور الثاني

## الالتزام والإبداع

ينقسم الالتزام إلى قسمين قسم داخلي ( التزام ذاتي )؛ وهو ترجمة كل ما يدور بداخل الإنسان وكل ما يجول بفكره، وهنا تتولد لحظة الإبداع؛ الذي يتفاوت نوعاً وكيفاً من مبدع لآخر. وهكذا يترك بصماته على نفس المتلقي إيجاباً وسلباً.وذهب الآمدي إلى أن الإبداع :" الالتزام بعمود الشعر"[62]

والالتزام الخارجي تشكل منظومته مجموعة الضوابط أو القوانين؛ التي يضعها مجتمع من المجتمعات؛ لتسير دولاب حياته اليومي؛ فصارت هذه الضوابط قيوداً لا يحق لأي عضو من أعضاء المجتمع التمرد عليها.وأياً كان نوع هذا الالتزام ( ذاتياً أم خارجياً ) فهو ضارب في القدم قدم الفطرة التي فطر الله تعالى عليها عباده، وإن حاول بعض علماء الأدب أن يتزى هذا المصطلح بزي الحداثة دون التثبت من أصوله التي تفرع منها ، أو مرابعه التي ولد فيها، وشهدت نموه وازدهاره. والتزم ابن الصحراء في جاهليته بعدد من القيم الفاضلة كالكرم، وحماية الجار، والنجدة والمروءة، وإغاثة الملهوف، والفروسية؛ التي تصب جميعها في مكارم الأخلاق. وقد استطاع أن يحقق ذاته من خلال هذه القيم. ومع ما أتيح له من مساحة من الحرية لا تتعدى خارطة القبيلة تمكن من ترجمة لحظة الإبداع بصدق وفعالية ؛ لأن لحظة الإبداع أو الابتكار وإن احتضنها العقل فلابد من موقف يستفز الشاعر حتى يزكي فتيل الشعر فيه، ويوقظ شيطان شعره .وشيطان الشعر كما عرفه الجاحظ تعني لحظة الإبداع أو الإلهام .[63]

وبمبعث المصطفى صلى الله عليه وسلم بين الحق عز وجل الالتزام والكيفية التي يكون عليها والقضايا التي لابد الالتزام بها وما يترتب على هذا الالتزام من ايجابيات وذلك في وصفه تلك الثلة الطيبة من الشعراء الذين التزموا جانب الحق ودافعوا عن محارم الله تعالى ونبيه الكريم . صلى الله عليه وسلم . وذلك في قوله تعالي : . ( **وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُم فِي كُلِ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيراً وَانتَصَرُواْ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون** ) [64] فقد بين الله تعالى المبادئ التي التزمت بها هذه الثلة من الشعراء وهي: الإيمان بالله تعالى ، والعمل الصالح ، وكما إنهم رطبوا ألسنتهم بذكر الله تعالى فضلاً عن الانتصار بعد الظلم.[65] وهكذا وضح الله تعالى بالنص الصريح كيفية الالتزام وصوره وسبق بذلك كل الضوابط والقوانين التي وضعها بنو البشر لتعريف الالتزام ومبادئه.

---

[62] النهج الإبداعي للآمدي الناقد: عبد الحميد العبسي، إصدار نادي أبها الأدبي، الطبعة الأولى 1985م/ 4062.
الحيوان: الجاحظ، 6 / 221.

64 سورة الشعراء آية / 224 – 227 .

[65] الكشاف :الزمخشري الجزء الثاني ص/ 441 ، وتفسير ابن كثير الجزء الثالث ص/ 354.

كما تجدر الإشارة إلى هنالك شعرة رقيقة بين الالتزام والإلزام إذ ينبع الأول من داخل النفس البشرية بعد إيمان تام وقناعة بالمبادئ؛ التي لامست النفس الإنسانية والتزمت بها ، بينما يعني الثاني " الإلزام " الضغوط الخارجية التي تمارس ضد الإنسان، مما يحد من إبداعه.

وشجرة الإبداع في أي مجال من المجالات تثمر ويطيب أكلها؛ إذا سقيت من ماء الحرية، وسار ركبها خلف لواء الالتزام، وفسر صاحب اللسان كلمة الإبداع بقوله:. " بدع الشيء وابتدعه أنشأه وبدأه. والمبدع الذي يأتي أمراً على شيء لم يكن ابتدأه إياه " [66] وتناول الجاحظ (255هـ ) الإبداع بمعنى الابتكار في قوله :. " ولا يعلم في الأرض شاعر تقدم في تشبيه مصب، أو في بديع مخترع إلا وكل من جاء بعده أو معه إن هو لم يعد على لفظه فيسرق بعضه أو يدعيه... " .[67]

وفي اصطلاح الفلاسفة للإبداع ثلاثة معان الأول تأليف شيء جديد من عناصر موجودة سابقاً كالإبداع الفني، وثانيه إيجاد شيء من لاشيء كإبداع الباري؛ الذي فرقوا بينه وبين الخلق، إذ يعني الأخير إيجاد شيء من شيء، والمعنى الثالث إيجاد شيء غير مسبوق بالعدم ويقابله الصنع[68]

وما دام الالتزام يعنى التمسك بالأصول أو الأصالة، فإنه لا يمكن الفصل بين الأصول والإبداع؛ لأن الإبداع إذا تجرد من الثوابت أو انحرف عن الأصالة تشوهت ملامحه. ولعامل الوراثة دور كبير في تحديد ملامح الإبداع في الإنسان؛ لكن لابد من صقله والعمل على تطويره، وهنا يتحد عامل الوراثة، مع ما يكتسبه الفرد من مهارات من المجتمع المحيط به، فضلاً عن الالتزام العقدي وتصب كل هذه العوامل في بوتقة الإبداع؛ كذلك البيئة التي ينشأ فيها الأديب تلعب دوراً كبيراً وبارزاً في تشكيل صفاته الإبداعية أو عوامل النبوغ فيه. وأشار القاضي الجرجاني إلى ظاهرة النبوغ وعزاها إلى ما يتمتع به الإنسان من ذكاء حاد ، ورقة المشاعر والطبع السليم فضلاً عن الإجادة أو إتقان العمل.[69]

وأرى أن الإبداع عند الأصمعي يعني الفحولة في الشعر لقوله:. " وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول، مثل امرئ القيس، وزهير ، والنابغة ، من صفات الديار والرَّحل والهجاء، والمديح، والتشبيب بالنساء ، وصفة الحُمر، والخيل والحرب، والافتخار، .....".[70]

---

[66] لسان العرب: ابن منظور المجلد الأول، ص / 228 مادة بدع، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم، الجزء الأول، ص / 121.

[67] الحيوان : :عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة الجزء الثاني ص / 311.

[68] الحدس والإبداع: عبد اللطيف محمد خليفة ، دار غريب للطباعة والنشرالقاهرة2000م ، ص / 35.

[69] الوساطة بين المتنبي وخصومه: عبد العزيز بن علي الجرجاني ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم،ص م14 -15

[70] الموشح: المرزباني، تحقيق علي البجاوي، دار نهضة مصر القاهرة 1965م ، ص/ 85.

وشبيه قول الأصمعي سؤال الفرزدق لذي الرمة: مالي لا ألحق بكم معاشر الفحول ؟ فقال له: لتجافيك عن المدح والهجاء ، واقتصارك على الرسوم والديار ".[71] وما يؤكد هذا الرأي قول ابن سلام الجمحي في امرئ القيس :" سبق إلى أشياء ابتدعها واستحسنها العرب ، واتبعه فيها الشعراء " .[72]

والفحولة التي أرادها الأصمعي، وسأل عنها الفرزدق لا تعني فقط الموضوعات الشعرية لأن النص الأدبي إذا لم يجد القوالب اللغوية التي تبرز جمالياته يخرج باهت الألوان ممسوخ الملامح؛ وهي كما أشار عبد القاهر الجرجاني التركيب اللغوي الذي يخدم المعنى.[73] وهذا يعني أن اللغة هي مستودع الإبداع الحقيقي وفيها يكمن سره ؛ لأنها الوسيلة التي نقف من خلالها على الأفكار والصياغة ومن ثم يمكن الوقوف على صدق المشاعر في أي عمل فني. " وينبغي أن تعلم أن الكتابة الجيدة تحتاج ‘إلى أدوات جمة، وآلات كثيرة، من معرفة العربية لتصحيح الألفاظ، وإصابة المعاني، وإلى الحساب وعلم المساحة، والمعرفة بالأزمنة والشهور والأهلة وغير ذلك ".[74]

ومن الشعراء الفرسان الذين وضحوا نهجهم في الحياة الشاعر الجاهلي عنترة بن شداد؛ فقد لزم عنترة حياة الفروسية، واتخذ منها وسيلة تخلصه من ذل العبودية ومطية ليعيش حياة الأسياد. وقد يكون سر تميز عنترة وإبداعه في جانب الفروسية منشأه الشعور بالنقص لذا حاول أن يسعى جاهداً أن يعوض ما فاته من حسب ونسب بالتفوق في هذا الجانب: .

| | | |
|---|---|---|
| **جَـــوَادِي نِسْـــبَتِي وَأَبِـــي وَأُمّـــي** | | **حُسَـــامِي وَالسِّـــنَانِ إِذَا انْتَسَـــبْنَا**[75] |

وسر تميز عنترة وإبداعه أنه ولد صوراً جديدة من الصور المحسوسة المتراكمة التي اختزنتها ذاكرته فأضافت هذه الصور أبعاداً جديدة للواقع الذي يعيشه؛ فكل معنى بكر يتناوله الشاعر أو فكرة نادرة يعرضها؛ تفتح باب الإبداع على مصراعيه أمام النص الأدبي ومن ذلك قوله : .

| | | |
|---|---|---|
| **إِنْ كُنْـــتُ فِـــي عَـــدَدِ العَبِيـــدِ فَهِمَتِـــي** | | **فَـــوَقْ الثُّرَيْـــا وَالسِّـــمَاكِ الأَعْـــزَلِ** |
| **أَوْ أَنْكَـــرَتْ فُرْسَـــانُ عَـــبْسٍ نسْـــبَتِي** | | **فَسِـــنَانُ رُمْحِـــي وَالحُسَـــامُ يُقِـــرُّ لِـــي** |
| **وَبِـــذَابِلِي وَمُهَنّـــدِي نِلْـــتُ العُـــلاَ** | | **لاَ بِالقَرَابَـــةِ وَالعَدِيـــدِ الأَجْـــزَلِ**[76] |

---

[71] المرجع السابق: ص / 274.

[72] طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام الجمحي تحقيق محمود شاكر،مطبعة المدني القاهرة 1974م ، ص / 46.

[73] دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد عبده ، مطبعة صبيح القاهرة 1960م، ص / 50 - 51.

[74] كتاب الصناعتين: أبو هلال العسكري، تحقيق محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية بيروت 1968م، ص/ 160

[75] ديوان عنترة: دار بيروت للطباعة والنشر 1984م، ص / 321.

[76] المرجع السابق: / 197.

إذاً لم تعطل حياة العبودية بما فيها من ذل، وكبت، وحرمان، من تميز عنترة كفارس مغوار، ولم تقلل من شأنه كشاعر مبدع ؛ وإن دل هذا على شيء إنما يدل على رغبة جامحة، وعزيمة قوية، وصبر على المكاره؛ واجتمعت كل هذه العوامل وتلاقحت فيما بينها وساعدت عنترة على تحويل كل السلبيات في حياته إلى إيجابيات. ومن القيم التي التزم بها العفة قوله :.

| | | |
|---|---|---|
| وَلَقَدْ أَبِيتُ عَلَى الطّوَى وَأَظَلّهُ | | حَتَى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ المَأكَلِ[77] |

لقد صبغ عنترة صوره الشعرية بألوانه الخاصة وألقى عليها ظلالاً أبرزت الجزئيات :.

| | | |
|---|---|---|
| مَا اسْتَمْتُ أُنْثَى نَفْسَهَا فِي مَوْطِنٍ | | حَتَى أُوَفِي مَهْرَهَا مَوْلاَهَا |
| أَغْشَى فَتَاةَ الحَيّ عِنْدَ حَلِيلَهَا | | وَإِذَا غَزَا فِي الجَيْشِ لاَ أَغْشَاهَا |
| وَأَغُضّ طَرْفِي مَا بَدَتْ لِي جَارَتِي | | حَتَى يُوَارِي جَارَتِي مَأوَاهَا |
| إِنِي امْرُؤٌ سَمْحُ الخَلِيقَةِ مَاجِدٌ | | لاَ أَتْبِعُ النّفْسَ اللّجُوجَ هَوَاهَا[78] |

فضلاً عن دلالة الصوت؛ الذي ساهم في إبداع المعنى كما يقول جاري ( GURRY ):. " يجب ألا يغيب عن بالنا أبداً في تقويمنا لكل عنصر من عناصر القصيدة، هو ربطه بالعناصر التي تنشي لنا وحدة واحدة. ولذلك فإن التأثيرات الصوتية ينبغي أن تدرس دائماً مرتبطة بالمعني والفكرة والتخيل والإيقاع ".[79] إذاً الإيقاع يعد من المهيجات التي تثير المتلقي؛ إذ نسمع عنترة يلجأ للأصوات القوية التي تناسب حال الحرب بما فيها من طعن وضرب وكر وفر، والشاهد على ذلك ميميته:.

| | | |
|---|---|---|
| ومُدَجَّجٍ كَرِهَ الكُمَاةُ نِزَالَهُ | | لاَ مُمْعِنٌ هَرَبَاً وَلا مُسْتَسْلِمِ |
| جَادَتْ لَهُ كَفّي بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ | | بِمُثَقَّفٍ صَدْقِ الكُعُوبِ مُقَوَّمِ[80] |

ومن مظاهر الإبداع الذي تجلى فيه الالتزام في الأدب الجاهلي، خطبة هاني بن قبيصة؛ عندما وقف في يوم ذي قار خطيباً في قومه؛ يحثهم على الحرب والقتال، وناشدهم التمسك بعدد من المبادئ والحرص عليها؛ حتى يتمكنوا من حصد رؤوس الأعداء، وذلك في قوله:." يا معشر بكر: هالك معذور، خير من ناجٍ فرور، إن الحذر لا ينجي من القدر، وإن الصبر من أسباب الظفر،

---

[77] المرجع السابق: ص/57.
[78] المرجع السابق: ص/ 76.
[79] GURRY.P.THE APPRECIATION OF POETRY, OXFORD, UNI , PRESS 1968 P 73
[80] ديوان عنترة : ص / 26.

المنية ولا الدنية، استقبال الموت ولا استدباره، الطعن في ثغر النحور، أكرم منه في الأعجاز والظهور ، يا آل بكر قاتلوا فما للمنايا من بد". [81]

فالأوعية اللغوية التي تناولها هاني بن قبيصه في خطبته دلت بوضوح على الفكرة التي أرادها مما يدل على الفطنة والذكاء، وهما من أهم مقومات الإبداع. [82]كذلك لجأ إلى استخدام الأضداد مما يدل على أن الخطيب كان يستشعر أهمية الحدث. وهذا الحس الفني، الذي يفيض بصدق المشاعر في قوالب لغوية عالجت العمل الأدبي بل أفاد منها؛ نقف عليه في وصية أمامة بنت الحارث إلى ابنتها أم إياس ليلة زفافاها إلى الحارث بن عمرو ملك كندة، فقد طلبت أمامة من ابنتها أن تلتزم في حياتها الجديدة بعدد من الصفات والأفعال حتى يطيب لها الحال وتخاطبها بقولها :. " كوني له أمة يكن لك عبداً وَشِيكاً " إلى أن تقول :. " ولا تفشي له سراً، ولا تعصي له أمراً، فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره ... ".[83]

ويمكن القول أن للكلمة دلالتها الخاصة التي تمكنها من تحقيق التأثير،وذلك من خلال استخدام المترادفات و الطباق، والقرائن التي تسيطر على المتكلم من دلالات ومشاعر، كما أن أسلوب الأمر يمتلك خاصية جذب انتباه المخاطب، فضلاً عن أسلوب الشرط الذي يتلاءم مع الوصية. كذلك تميزت الوصية بدقة المعاني وتتابع الأفكار، وتصويرها للواقع واستقراء للمستقبل إذ قفزت الأم ببصيرتها النافذة إلى ما في رحم الغيب؛ وعصرت تجربتها واهدت خلاصتها لابنتها ليلة زفافها.

وكما لزم عنترة حياة الفروسية واتخذها غاية ووسيلة لمآرب أخرى ، فقد التزم عروة بن الورد( توفي 616 م)[84] الصعلكة نهجاً له، ومن شدة التزامه بمبدأ الصعاليك كان يلقب بأبي الصعاليك لأنه أول من دعا للالتزام بهذا المذهب، ووصف شوقي ضيف نهج عروة في الصعلكة بقوله:. " الصعلكة عنده ضرب من ضروب النبل الخلقي وكأنها أصبحت صنواً للفروسية بل لعلها تتقدمها في هذه الناحية من التضامن الاجتماعي بين الصعلوك والمعوزين في قبيلته" .[85] فهذا السبق الذي حققه عروة في هذا المجال شهد له بالإبداع فضلاً عما تميز به من جودة الصياغة، والشاهد على ذلك قوله:.

**أُقَسِّـــمُ جِسْـــمِي فِـــي جِسُـــومٍ كَثِيـــرَةٍ وَأَحْسُو قَرَاحَ المَاءِ وَالمَاءُ بَارِدٌ**[86]

---

[81] الأمالي: أبو على القالي البغدادي، مطبعة دار الكتب المصرية الطبعة الثانية 1926م، الجزء الأول ص / 169.

[82] الوساطة: علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي مطبعة عيسى البابي الحلبي د.ت ، ص/ 54

[83] العقد الفريد: أحمد محمد بن عبد ربه ، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف 1940م،ج 7 / 89– 90.

[84] ديوان عروة بن الورد: تحقيق وشرح كرم البستاني دار صادر بيرت1953م، ص/ 9.

[85] تاريخ الأدب العربي . العصر الجاهلي . : شوقي ضيف ، دار المعارف 1964م/ 384.

[86] ديوان عروة بن الورد: ص / 31.

وعروة في دعوته للالتزام بهذا المذهب كان هدفه خلق نوع من العدالة الاجتماعية بين أفراد القبيلة. وهذه الشهرة التي نالها عروة يعود سببها إلى التزامه بنهج الفطرة السوية؛ مما دفعه ليبرز ويبدع في هذا اللون من الشعر " شعر الصعاليك " . إذاً يمكن القول أن عروة اتخذ من تميزه وسيلة ليبين من خلالها مبادئه التي التزم بها ، كذلك اتخذ منه وسيلة تعليمية ليبث عن طريقها قيمه ومثله؛ حتى يعي مجتمعه نهجه في الصعلكة وفلسفته التي اتكأ عليها في عالم الصعاليك. وإنسانيته تتسع لتضم كل فقير ومحتاج فضلاً عن الصعاليك وعبر عن ذلك في قوله :.

**فِرَاشِـــي فِـــرَاشُ الْضَـــيفِ وَالبَيْـــتُ بَيْتُـــهُ وَلَـــمْ يُلْهِنِـــي عَنْـــهُ غَـــزَالٌ مُقَنَّـــعُ**

**أُحَدِثَـــهُ ، إنَّ الحَـــدِيثَ مِـــنْ القِـــرَى وَتَعْلَـــمُ نَفْسِـــي أَنَّـــهُ سَـــوْفَ يَهْجَـــعُ**[87]

وهذا التجاوب الذي يحسه من يقرأ شعره ما هو إلا رد فعل طبيعي للنواحي الإبداعية التي التصقت به. ويعزى إبداع عروة إلى أنه استطاع أن يبتكر الصور، ويصف الجزيئات الصغيرة بوضوح تام. كما أنه تمكن من تناول المعاني القديمة والصور التي سبقه إليها الشعراء فأعاد صياغتها وأخرجها في قوالب جديدة ؛ مما ترك آثار بصماته واضحة تدل عليه.

وببزوغ شمس الحق بمبعث المصطفى . صلى الله عليه وسلم . وجدنا أنفسنا أمام لون جديد من الالتزام والإبداع ، كانت العقيدة الإسلامية روحه؛ التي بثت أنفاسها في قلوب رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، انعكس صدقهم هذا على نتاجهم الفكري الممثل لعقيدتهم الجديدة، إذا سلمنا بأن العقيدة هي كل ما يعتقد فيه الإنسان، وحاجة الإنسان للعقيدة السماوية حاجة فطرية أو حاجة طبيعية، وتحت ظل العقيدة السماوية أياً كانت تنشأ الحضارات.

والإبداع بصوره المختلفة ينبثق من الالتزام العقدي؛ والعقيدة الإسلامية فتحت الباب على مصراعيه أمام إبداع الفرد المسلم في كل المجالات، قال الله تعالى:. { **قُلْ كُلٌ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِه فَرَبُكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً** } ".[88]

في صدر الإسلام ظهر أثر الالتزام العقدي في حياة الفرد المسلم من عدة نواحي ، من الناحية الروحية والفكرية والسلوكية وانعكست على الجانب الثقافي أو الفكري، ويشير عبد الباسط بدر لذلك بقوله :. " فإذا كان المعتقد محدود الآفاق، لا يعالج من قضايا الإنسان إلا جانباً محدداً ولا يملك إلا رؤية ضيقة، ولا يقدم حلولاً تناسب الفطرة البشرية ومنازعها الأساسية ، إذا كان المعتقد كذلك، فإن

---

[87] المرجع السابق: ص / 6.

[88] سورة الإسراء آية / 84.

الفرد الذب يعتنقه مقيد في ساحة ضيقة ، ومضطر إلى أن يحشر قضاياه كلها في الزاوية الضيقة التي يحددها معتقده".[89]

وهذا الالتزام الذي اتصف به الأديب المسلم كان مصدر إلهامه وإبداعه؛ لأن العقيدة هي التي تدفع الفكر والعاطفة للنمو والازدهار، بما توفره لهما من مناخ طيب وبيئة صالحة؛ فتنطلق ومضة الإبداع لتسجل لحظة الميلاد لأي عمل فني بعد توفر الموهبة؛ التي تصقل التجربة، وعندها يكون المخاض يسيرا لكل لوحة فنية يستمد الأديب المسلم صورها من صوره من القرآن الكريم ، فالصورة القرآنية صورة تعج بالحركة لأن ما من شيء إلا يسبح باسمه قال تعالى :.. **( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاَتَهُ وَ تَسبِيحَهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ )**.[90]

والأديب يستطيع أن يترجم التزامه هذا في نواحي جمالية متعددة، ويرسم بيراعه لوحات تبرز مقدرة الخالق العظيم الذي خلق فسوى؛ وهنا يكمن سر جمال إبداع الأديب إذا تمكن من نقل الصورة بوضوح؛ وتمكن من خلق نوع من التوازن النفسي بينه وبين البيئة المحيطة به، ولابد من مراعاة الانسجام بين الحركة الداخلية ( التي تصطخب داخل نفسه ) والحركة الخارجية ( التي تجسد حركة الأشياء من حوله ). لقد تمكن شاعر الدعوة المحمدية . على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم . حسان بن ثابت[91] . رضي الله عنه . بعد أن من الله تعالى عليه بنعمة الإسلام ،وعاش تحت ظل الالتزام بتعاليم الإسلام أن يحقق هذا الجانب من التميز،لأنه تذوق جماليات الآيات القرآنية ووقف على دقة صياغتها البيانية، وتفاعل معها؛ فسل لسانه سيفاً للدفاع عن العقيدة الإسلامية، والذب عن محارم الله تعالى. ومن أهم الأسباب التي جعلت حسان بن ثابت يبدع في كل موضوع من الموضوعات التي تناولها الدافع الذاتي، والتوازن النفسي والتوازن الخارجي.فضلاً عن الخصوبة الفكرية واللغوية والتدفق العاطفي، ومن أمثلة ذلك لاميته التي يقول فيها :.

**شَـــهِدْتُ بِـــإِذْنِ اللهِ أَنّ مُحَمَّـــدًّا ... رَسُـولُ الَّـذِي فَـوْقَ السَّـماوَاتِ مِـنْ عَـلُ**
**وَأَنَّ أَبَـــا يَحَيَـــى وَيَحْيَـــى كِلاَهُمَـــا ... لَـــهُ عَمَـــلٌ فِـــي دِينِـــهِ مُتَقَبَّـــلُ**
**وَأَنَّ الَّتِـــي بِـــالجِزعِ مِـــنْ بَطْـــنِ نَخْلَـــةٍ ... وَمَـــنْ دَانَهَـــا فِـــلٌّ مِـــنْ الخَيْـــرِ مَعْـــزَلُ**
**وَأَنَّ الَّذِي عَادَى اليَهُودُ ابْنَ مَرْيَمِ ... رَسُولٌ أَتَي مِنْ عِنْدِ ذِي الْعَرْشِ مُرْسَلُ**
**وَأَنَّ أَخَـــا الأَحْقَـــافِ إِذْ يَعْذُلُونَـــهُ ... يَقُـــومُ بِـــدِينِ اللهِ فِـــيهِمْ فَيَعْـــدِلُ**[92]

---

[89] مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي: عبد الباسط بدر، دار المنارة، جدة الطبعة الأولى 1985م، ص / 38

[90] سورة النور آية / 41.

[91] ولد في منتصف العقد السابع من القرن السادس الميلادي، وتوفي سنة أربعين أو خمسين أو أربع وخمسين أو ثمانين، أنظر: حسان بن ثابت شاعر الرسول لسيد حنفي حسنين المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر 1963م، ص / 27.

[92] شرح ديوان حسان بن ثابت : شرح وضبط عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر 1929م ، ص / 219 – 320.

وقد ارتبطت التجربة الشعورية لدى حسان بن ثابت بالمبادئ التي التزم بها، وتأثر بثقافتها وكانت واسعة الآفاق تجلى فيها العطاء الأدبي الذي خالطه الإبداع ومازجه الصدق؛ وذلك في عينيته التي أنشدها في حضرة المصطفى . صلى الله عليه وسلم . عندما وفد عليه وفد بني تميم وقال مفاخراً :.

**قَـــوْمٌ إذا حَـــارَبُوا ضَـــرُّوا عَـــدوَّهُمُ أَوْ حَـاوَلُوا النَفْـع فِـي أَشْـيَاعِهِم نَفَعُـوا**

**سَـــجِيَّةٌ تِلْـــكَ مِـــنْهُمْ غَيْـــرُ مُحْدَثَـــةٍ إِنَّ الخَلاَئِـــقَ فَـــأَعْلمْ شَـــرُّهَا الْبِـــدَعُ**

**لاَ يَرْفَـــعُ النَّـــاسَ مَـــا أَوْهَـــتْ أَكُفُّهُـــمُ عِنْـــدَ الـــدِّفاعِ وَلاَ يُوهُـــونَ مَـــا رَقَعُـــوا**

**إِنْ كَـــانَ فِـــي النَّـــاسِ سَـــبَّاقُونَ بَعْـــدَهُمُ فَكُـــلُّ سَـــبْقٍ لأَدْنَـــى سَـــبْقِهِمْ تَبَـــعُ**

**أَعِفَّـــةٌ ذُكِـــرتْ فِـــي الْـــوَحْيِ عِفَّـــتُهمُ لاَ يَطْبَعُـــونَ وَلاَ يُـــرْدِيُهمُ الطَّمَـــعُ[93]**

وكانت هذه العينية وليدة لحظة تَجَلّي؛ لذا فهي أبعد ما تكون عن التكلف؛ الذي يقلل من قيمة العمل الإبداعي، كذلك تمثل العينية قمة التلاحم بين المضمون الفكري والشكل؛ الذي يدل على مدى جمال التصور الفني.وتلاحقت هذه العوامل، وامتزجت فيما بينها لتخلق عملاً إبداعياً؛ تجلى في الأثر الإيجابي الذي تركته القصيدة. ويشير العسكري :. " فليس الشأن في إيراد المعاني ؛ لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي والقروي والبدوي، إنما هو في جودة اللفظ وصفائه وحسن بهائه ونزاهته ونقائه وكثرة طلاوته ومائه، مع صحة السبك والتركيب، والخلو من أود النظم والتأليف، وليس يطلب من المعنى إلا أن يكون صواباً ، ولا يقنع من اللفظ بذلك حتى يكون على ما وصفناه من نعوته التي تقدمت". [94] ولقد سبق الجاحظ العسكري عندما جعل الصياغة محوراً من محاور الإبداع فالمعاني ". مطروحة في الطريق يعرفها العربي والأعجمي،القروي والبدوي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ، وسهولة المخرج ، وكثرة الماء، وصحة الطبع وجودة السبك".[95]

لقد ابتكر حسان بن ثابت العديد من الموضوعات والمعاني، وزين ملامح القصيدة الإسلامية وجَمّلها بالعديد من الملامح الجديدة؛ لذا تربع على عرش الإبداع الفني بين معاصريه وأهل زمانه ومن الناحية اللغوية، فقد استند معجمه اللغوي على القرآن الكريم الذي أمده بذخيرة لغوية تمكنه من أداء المعاني التي يريدها، فجرت كلمته على العرف العربي الصحيح غير شاذة .[96]

---

[93] المرجع السابق: ص 304.

[94] كتاب الصناعتين: أبو هلال العسكري، ص/ 64.

[95] الحيوان: الجاحظ ن الجزء الثالث ص / 131.

[96] سر الفصاحة : ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية بيوت 1982م،ص/ 77.

والأديب المبدع يمتلك مهارة توليد الأفكار، التي يستطيع من خلالها طرق طرقاً جديدة، أو ابتكار أساليب مغايرة لمعالجة شتى القضايا التي تفرض نفسها على ساحة الأدب، وفي الوقت نفسه يحافظ على تمسكه بمبادئه التي التزم بها، ومن ذلك داليته التي يقول فيها:.

**لِسَـــانِي وَسَـــيْفِي صَـــارِمَانِ كِلاَهُمَـــا وَيَبْلُـــغُ مَـــالاَ يَبْلُـــغُ السَّـــيْفُ مِـــذْوَدِي**
**وإِنْ أَكُ ذَا مَـــالٍ قَلِيـــلٍ أَجُـــدْ بِـــهِ وَإِنْ يُهْتَصَـرْ عُـودِي عَلـى الْجُهْـدِ يُحْمَـدِ**
**فَـــلاَ المَـــالَ يُنْســـِينِي حَيَـــائِي وَعِفَتِـــي وَلاَ وَاقِعَـــاتِ الـــدَّهْرِ يَفْلُلْـــنَ مِبْـــرَدِي**
**أَكَثِّـــرُ أَهْلِـــي مِـــنْ عِيَـــالٍ سِـــوَاهُمُ وَأَطْـــوِي عَلَـــى المَـــاءِ القَـــرَاحِ المُبَـــرَّدِ**
**وإِنَّـــي لَمُعْـــطٍ مَـــا وَجَـــدْتُ وَقَائِـــلٌ لُمُوقِـــدِ نَـــارِي لَيْلَـــةَ الـــرِّيحِ أَوْقِـــدِ**
**وَإِنِّـــي لَقَـــوَّالٌ لَـــدَى الْبَـــثِّ مَرْحَبَـــاً وَأَهْـــلاً إِذَا مَـــارِيعَ مِـــنْ كُـــلِّ مَرْصَـــدِ**
**وَإِنِّـــي لَيَـــدْعُونِي النَّـــدَى فَأُجِيبُـــهُ وَأَضْـــرِبُ بَـــيْضَ الْعَـــارِضِ المُتَوَقِّـــدِ**
**وَإِنِّـــي لَحُلْـــوٌ تَغْتَرِينِـــي مَـــرَارَةٌ وَإِنِّـــي لَتَـــرَّاكٌ لِمَـــا لَـــمْ أُعَـــوَّدِ**
**وَإِنَّـــي لَمِزْجَـــاءُ المَطِـــيَّ عَلَـــى الْـــوَجَى وَإِنِّـــي لَتَـــرَّاكُ الْفِـــرَاشَ المُمَهَّـــدِ**
**وَأَعْمِـــلُ ذَاتَ اللَّـــوْثِ حَتَّـــى أَرُدَّهَـــا إِذَا حُـــلَّ عَنْهَـــا رَحْلُهـــا لَـــمْ تُقَيَّـــدِ**[97]

وهذا غيض من فيض شعر حسان بن ثابت الذي كان كالغصن ذي الأفنان؛ فقد استمد جماله من أعظم كتاب، وأمده بديع السماوات والأرض بالمدد الإلهي الذي تجسد في قول المصطفى . صلى الله عليه وسلم ،لحسان بن ثابت فيما يرويه البخاري:. **(اهْجُهُمْ أو هاجهم وجبريل معك )**[98] . وقوله صلى الله عليه وسلم كذلك :. **( إِنْ اللهَ يُؤَيِّدُ حَسَانَ بِرُوحِ القُدُسِ مَا يُفَاخِرُ أَوْ يُنَافِحُ عَنْ رَسُوْلِ اللهِ )**[99] . وهذا التميز الذي تفرد به حسان بن ثابت وجعله يحمل لواء الإبداع متصدراً معاصريه من شعراء العقيدة الإسلامية من ناحية الجودة، ووظف الصورة الشعرية لخدمة النص الأدبي؛ الذي خلق منه رسالة يذود بها عن حمى الإسلام. وتجسدت رسائله هذه في نصوصه الشعرية العديدة.[100]

وعبد الله بن رواحة كان التزامه العقدي منطلقه لهجاء كفار قريش؛ والعقيدة هي كل ما يعتقد فيه الإنسان، وحاجة الإنسان لها حاجة فطرية؛ وهي تلعب دوراً مهماً وبارزاً في توجيه حياة الفرد؛ الذي استخلفه الله تعالى في الأرض ، وأوكل إليه مهمة إعمارها؛ لذا يقع على عاتقه مهمة صنع

---

[97] شرح ديوان حسان: البرقوقي، ص / 128.
[98] صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري ، المكتبة الإسلامية استانبول 1979م ، كتاب الأدب ( 78) باب ( 91) .
[99] سنن الترمذي : كتاب الأدب باب ما جاء في إنشاد الشعر، حديث رقم 2846.
[100] أنظر ديوان حسان بن ثابت، وشعر الدعوة المحمدية حمودي نوري القيسي.

الحضارات. والعقيدة أياً كانت؛ هي القرار المكين الذي ينمو بداخله الأدب. وقد جاء نتاج الشاعر المسلم تحت مظلة الإسلام يحمل بين طياته أنواعاً مختلفة من الإبداع؛ عكست مدى التزامه بالقيم الإسلامية ونبذه للعادات الجاهلية السيئة، ويشير شلتاغ لذلك بقوله:. "ما من عقيدة على وجه الأرض مثلت التفاعل بين الكيان الإنساني والحياة والوجود وخالق الوجود كالإسلام ، وبناء على شمولية المعتقد الإسلامي وواقعيته وصدق مصدره كان العطاء والتجاوب الإنساني مع هذا المعتقد عظيماً وبلا حدود ".[101]

فقد ظهر أثر التزام عبد الله بن رواحة العقدي فيما جادت به قريحته من قوافي؛ عندما رأى كفار قريش وقد جاءوا بلفهم ولفيفهم، وهم يحاولون النيل من الرسول . صلى الله عليه وسلم . فأثارت هذه المشاهد المضطربة فكره وعواطفه، فرسم صوراً أدبية جاءت غاية في الإبداع لونها بأحاسيسه وعواطفه، وفي ميميته التي نظمها بعد موقعة بدر يشير إلى ما حققه المسلمون من انتصارات، ويهجو كفار قريش، ويصفهم بقريش الكفر كما يبين لهم عاقبة ما يترتب على كفرهم من خسران وندم ولكن بعد فوات الأوان:.

**فَأَقْسَمْتُ لاَ تَنْفَكُ مِنَا كَتَائِبُ سُرَاةُ خَمِيسٍ فِي لُهَامٍ مُسَوَّمِ**
**نَزُوعُ قُرَيشَ الكُفْرِ حَتَى نَعُلّهَا بِمُخَاطِمَةٍ فَوْقَ الأُنُوفِ بِمَيْسَمِ**
**وَيَنْدَمَ قَوْمٌ لَمْ يَطِيعُوا مُحَمداً عَلَى أَمْرِهِمْ وَأَيّ حِينَ تَنَدُّمِ**[102]

وكان حادي ركبه في هذه المشاهد الإيمانية الرائعة، صدق العقيدة وصدق التوجه وصدق المشاعر.لذا كان من الثلة التي وصفها الله تعالى بقوله {.... **الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيراً وَانتَصَرُواْ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا.... )** [103]

وكان عطاؤه كالشجرة الطيبة التي وصفها رب العزة والجلالة بقوله:. { **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ الله مَثَلاً كَلِمَةً طَيّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِبةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُها فِي السَّماءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبّهَا..... ).**[104] وفي هجائه لأبي سفيان يعيره بعدم الإيمان :.

**فَأَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ إمَّا لَقِيْتَهُ لَئِنْ أَنْتَ لَمْ تُخْلِصْ سُجُوداً**
**فَأَبْشِرْ بِخِزْيٍ فِي الحَيَاةِ مُعَجَّلٍ وَسِرِبَالِ قَارٍ خَالِداً فِي جَهَنَّمِ**[105]

---

[101] الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي: شلتاغ عبود، دار المعرفة الطبعة الأولى 1992م / 74.

[102] ديوان عبد الله بن رواحة ودراسة في سيرته شعره، وليد قصاب، دار العلوم للطباعة والنشر الطبعة الأولى 1982م، ص / 89.

[103] سورة الشعراء آية / 227 .

[104] سورة إبراهيم آية / 24 – 25.

[105] ديوان عبد الله بن رواحة : وليد قصاب ، ص / 90.

فكل الصور الإيمانية التي حشدها ابن رواحة في شعره ووظفها لخدمة الدين شرحت الموقف أو مراده ، وفي الوقت نفسه خدمت النص الشعري؛ لأنها خرجت للمتلقي وهي في قمة التناسق من ناحية الأسلوب والفكرة، وما خالطها من خيال، فضلاً عما يتمتع به ابن رواحة من إدراك لمبادئ الدين والثقافة الإسلامية. لذا فقد تركت العقيدة بصماتها واضحة في نتاجه الأدبي، كذلك نلاحظ أن الامتزاج بين الذات والموضوع في شعر ابن رواحة مما يؤدي إلى التميز والتفرد في العرض لذا تأتي قوافيه وهي تموج بالحركة ودفء المشاعر.

واللغة العربية في تطورها ترتكز على الأصول والثوابت ويشير ابن رشيق لذلك بقوله :. " وللشعراء ألفاظ معروفة ، وأمثلة مألوفة، لا ينبغي للشاعر أن يعدوها ولا أن يستعمل غيرها "[106]. وفي العصر الحديث حملت النصوص الأدبية العديد من أدوات التعبير التأثيرية كقصيدة الطين للشاعر "إيليا أبو ماضي" (1889م . 1957م) التي توضح مدى تمكنه من فنون الكلام المختلفة، وفي الوقت نفسه لم يستكره المعاني، كما تمكن من تسخير الصور البيانية لخدمة النص، فصارت رافداً من روافد إبداعه، كما لجأ إلى استخدام الرمز لدلالته الخاصة التي تقود إلى جودة العمل الأدبي؛ فقد رمز للإنسان بالطين، وهنا إشارة صريحة إلى أصل الإنسان، كما رمز بالفحمة إلى السواد؛ فإذا كان اللون الأبيض يستخدم في معرض المديح للدلالة على الطهارة أو العفة، فاللون الأسود يأتي في معرض الهجاء للدلالة على السوء أو قلة الشأن. وجاءت داليته من بحر الخفيف، الذي يتميز بالموسيقا الهادئة التي تعشقها الأذن، وترقص معها دقات القلب، فضلاً عن القافية الساكنة التي بناها الشاعر على حرف الدال مما أدي إلى انسجام تام بين المقام والمقال ونسمعه يردد:.

**نَسِـــيَ الطَّـــيْنُ سَـــاعَةً أَنَّـــهُ طِّيْـــ نٌ حَقِيـــرٌ فَصَـــالَ تِيهـــاً وَعَرَبَـــدْ**

**وَكَسَـــا الخَـــزُّ جِسْـــمَهُ فَتَبَـــاهى وَحَـــوَى المَـــالَ كِيسُـــهُ فَتَمَـــرَّدْ**

**يَـــا أَخِـــي لاَ تَمِـــلْ بِوَجْهِـــكَ عَنِّـــي مَـــا أَنَـــا فَحْمَـــةٌ وَلاَ أَنْـــتَ فَرْقَـــدْ**[107]

وإذا كان عنترة لجأ للأصوات القوية التي تناسب الحرب والنزال ،فقد استخدم إيليا الأصوات الهامسة المتمثلة في حرف السين، فضلاً عن التكرار كالتكرار اللفظي ( الطين .. طين ) أو تكرار حرف السين قد كسا القصيدة حلة بديعة ، فضلاً عن الصورة الشعرية التي اكتمل بناؤها بدلالة الصوت لها. كذلك نلاحظ أن الشاعر حالفه التوفيق في استخدام الأساليب الإنشائية المختلفة، لما لها من معان بلاغية أفاد منها النص كالنهي الذي يفيد التوجيه أو النصح، وذلك في قوله ( لا تمل بوجهك )، والنداء وغرضه البلاغي اللوم والعتاب للإنسان الذي يتيه كبراً على أخيه( يا أخي ). وكل

---

[106] العمدة: ابن رشيق، الجزء الأول، ص / 128.

[107] ديوان إيليا أبي ماضي: دار العودة، د. ت.ص / 318. من قصيدة بعنوان " الطين "

هذه الأساليب والوسائل التي استخدمها أبو ماضي أهلت النص الأدبي للتميز، وجعلته يدخل في مضمار الإبداع الأدبي.

وأبو القاسم الشابي (1909م . 1929م)[108] في رائيته التي تحدث فيها عن أنشودة الحياة يوضح مدى التزامه بهموم أمته، وسر إبداعه يكمن في حسه الوطني؛ إذ تمكن من تحقيق التوازن النفسي بينه وبين البيئة المحيطة به، فاتحدت المعاناة مما قوى الإحساس الحاد بالألم؛ بينما تبرز النظرة السوداوية التي كحلت عينيه، وفي الوقت نفسه تفصح عن نفس تتوق إلى الحياة وترنو إلى الجمال، ومع هذا يمني نفسه بالأمل، كما يجدد الأمل في روح أمته المقهورة؛ حتى تصرخ في وجه الظلم وتثور بجرأة ضد الاستبداد، ويستنهض الهمم بقوله :.

**إذا الشَـــعَبُ يَوْمَـــاً أَرَادَ الحَيَـــاةَ فَلاَبُـــدَ أنْ يَسْـــتَجِيْبَ القَـــدَرْ**
**وَلاَ بُـــدَ لِليْـــلِ أنْ يَنْجَلِـــي وَلاَ بُـــدَ لِلقِيـــد أنْ يَنْكَسِـــرْ**
**وَ مَـــنْ لَـــمْ يُعَانِقُـــهُ شَـــوْقُ الحَيـــاةِ تَبَخَـــرَ فَـــي جَوِّهَـــا وانْـــدَثَرْ**
**كَـــذَلِكَ قَالِـــتْ لِـــيَ الكَائِنَـــاتُ وَحَـــدَثَنِي رُوحُهَـــا المُسْـــتَتَرْ**[109]

والشابي يلجأ إلى الرمز؛ لأنه قد ضاق ذرعاً بالاستعمار الفرنسي الذي خيم على وطنه، ولا يستطيع الإفصاح لكثرة الضغوط التي أرهقت كاهله ، وفي صرخته هذه يحاول اختراق الحواجز الزمانية والمكانية ويشير للاستعمار بصورة عامة ، والشاعر في ثورته الهادئة على يقين تام أن راية الحق سترفرف فوق رأس كل حر أبي، وهكذا استطاع الشاعر أن يجعل الكلمات تنتفض لتنتفض بانتفاضتها الأمة .

وملامح الإبداع تختلف من إنسان لآخر فمعروف الرصافي (1875م . 1945م)[110] في قصيدته الأرملة المرضعة، عمد إلى فكرة استمدها من الواقع الذي يعج بالأفكار والخواطر، فضلاً عن الهموم، فصاغ هذه الفكرة في عمل إبداعي استمد تناسقه وتكامله من تكامل العمل الأدبي، كذلك نلاحظ أن العاطفة لعبت دوراً مهماً في إبراز مراد الشاعر وهدفه، وتم التناسق والانسجام بين عاطفة الشاعر والموقف الذي جسده للمتلقي، وبين الوعاء اللغوي؛ الذي حمل النص الأدبي. "والشاعر فيما يبدع من شعر إنما ينتمي إلى عالمنا بمقدار ما ينتمي إلى عالم الشعر،إنه ينتمي إلى عالمنا بما لديه من أفكار أو مشاعر أو انفعال لأنه بوصفه إنساناً يعيش بين الناس".[111]

---

[108] ديوان أبي القاسم الشابي: دار العودة بيروت1972م ص / 7 – 8.
[109] المرجع السابق: ص/ 406. من قصيدة بعنوان " إرادة الحياة "
[110] ديوان الرصافي: شرح وتعليق مصطفى علي، دا ر الشؤون الثقافية العامة بغداد ، الطبعة الثانية 1986م،الجزء الأول ص / 3 – 4.
[111] الشعر المعاصر: عز الدين إسماعيل، دار العودة بيروت الطبعة الثانية 1972م، ص/ 391.

فهذه التجربة الإنسانية التي عاشها الرصافي كانت كافية لخلق عمل إبداعي؛ لأنه تمكن من إعادة صياغة تلك الصورة المألوفة لعدد من الناس، وأخرجها في قالب شعري جديد؛ وعمد إلى الوصف المادي المحسوس حتى يستفز مشاعر المتلقي ليتجاوب مع النص الأدبي، لذا حظيت تجربته بأبعاد فنية مختلفة استمدت عمقها من شدة إحساس الشاعر بها، ومن واقع هذه التجربة أنشد قائلاً:.

**لَقَيْتُهَـــا لَيْتَنِـــي مَـــا كُنْـــتُ أَلْقَاهَـــا تَمْشِـــي وَقَـــدْ أَثْقَـــلَ الإِمْـــلاَقُ مَمْشَـــاهَا**
**أَثْوَابُهَـــا رَثَّـــةٌ وَالرِجْـــلُ حَافِيَـــةٌ والـــدَمْعُ تَذْرِفَـــهُ فِـــي الخَـــدِ عَيْنَاهَـــا**
**بَكِـــتْ مِـــنْ الفَقَـــرِ فـــاحْمَرّتْ مَـــدَامِعُهَا واصْـــفَرَ كَـــالوَرْسِ مِـــنْ جُـــوُعٍ مُحَيَاهَـــا**
**مَـــاتَ الـــذِي كَـــانَ يَحَمِيهَـــا ويُسْـــعِدُهَا فَالـــدَهْرُ مِـــنْ بَعَـــدِهِ بِـــالفَقَرِ أَشْقَاهَـــا**
**المَـــوَتُ أَفْجَعُهَـــا والفَقْـــرُ أَوْجَعُهَـــا والهَـــمُّ أَنْحَلُهَـــا والغَـــمُّ أَضْـــنَاهَا**
**فَمَنْظَـــرُ الحُـــزْنُ مَشْـــهُودٌ بِمَنْظَرِهَـــا والبُـــؤسُ مَـــزْآهُ مَقْـــرُونٌ بِمَرْآهَـــا**[112]

وكانت القضية التي التزم بها الشاعر محمد الفيتوري ( 1930م ) قضية القارة السمراء، وكان منطلق ولائه والتزامه الانتماء العرقي، فمسقط رأسه كان في أفريقية العربية، لذا جند قلمه ليعبر عن معاناة الإنسان الأفريقي الذي سحقه الظلم والاستبداد :.

**صِنَاعَتِي الكَلاَمَ**
**قَدْ أَجِيدُ تَارَةً ... وَقَدْ أُخْطِئ تَارَةً**
**لَكِنَنِي مُنْذُ مَشَتْ عَوَاصِفُ الحَنِينَ فِي دَمِي**
**وَمُنْذُ أَزْهَرَتْ بَرَاعِمُ الكَلامِ فِي فَمِي**
**وَمُنْذُ مَا انْطَلَقتْ ضَائِعاً مُشَرَدَاً**
**أَطَوِي لَيَالِي غُرْبَتِي**
**وَأَمْتَطَي خُيُولَ سَأَمِي**
**كُنْتِ عَذَابِي أَنْتِ يَا أَفْرِيقِيَا**
**وَكُنْتِ غُرْبَتِي الَّتِي أَعِيشُها**
**وَشِئْتُ أَنْ أَعِيشُها** [113]

فالشاعر يجسد صوراً حية من الواقع الذي طغى عليه الفقر والاستبداد والقهر، وهو في رسمه لهذه اللوحات الفنية يعيش في قلب الحدث، لذا تأخذ هذه القضية بعداً إنسانيا يترجم بوضوح موقفه

---

[112] ديوان الرصافي: شرح وتعليق مصطفى علي، دا ر الشؤون الثقافية العامة بغداد ، الطبعة الثانية 1986م الجزء الرابع 59 – 60.
[113] ديوان محمد الفيتوري : دار العودة بيروت 1972م، ص / 334.

من المستعمر الدخيل بلغة سهلة، تناسقت كلماتها، وتناغمت موسيقاها. وهذه الفكرة التي تناولها الفيتوري بعيدة المدى ، وفي الوقت نفسه تخدم العديد من الأغراض الاجتماعية. والشاعر يوزع قصيدته على نمط الشعر الحر حيث يوزع مفرداته على شكل جمل موسيقية تعبر عن مفهومه للقضية التي التزم بها ويحاول معالجتها، فضلاً عن إمكانيات التركيب الصوتي ودلالته؛ التي تعد من أهم مقومات الإبداع، كما لجأ الشاعر إلى المجاز وهو كما أشار عبد القاهر الجرجاني:. " المجاز أعم من الاستعارة، وأن الصحيح من القضية في ذلك أن كل استعارة مجاز وليس كل مجاز استعارة".[114]

## الخاتمة

1. الإنسان بحكم تفاعله في المجتمع خاضع للعديد من الظروف التي تؤثر سلباً أو إيجاباً على حياته؛ كالظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وكل هذه العوامل تؤثر في نتاج الأديب . ومن هنا كانت الحاجة لتكوين المذاهب الأدبية المختلفة؛ التي خلقت استجابة لحاجة الفرد في مجتمع من المجتمعات. وحدد كل منها المبادئ التي التزم بها فصارت مؤشراً يدل عليه، و منهجاً يعرف به.
2. لاشك إن الحضارة الأوربية قد لعبت دوراً مهماً وبارزاً في تطوير الأدب الغربي، ولكن هذا الأدب الذي نشأ في أحضان الحضارة الأوربية، يفتقد إلى الهوية إذا لم يرد إلى الأصول التي تفرع منها، لذا نشير إلى أن الأصول الأولى للأدب كانت في أحضان العقيدة أياً كانت هذه العقيدة، وإذا لم يستند على أي عقيدة خرج مشوه الملامح، والفطرة السوية للإنسان تقتضي أن يلتزم بأوامر الله تعالى ويبتعد عن نواهيه.
3. الالتزام لا يقيد حرية المبدع ولا فكره، ولا يتنافى مع القيم الفنية، وفي الإسلام ينظر إليه من خلال منظورين؛ المنظور العملي، والمنظور النظري.
4. النزوع لحب الإبداع والتجديد شيء فطري في الإنسان، الذي تمكن من خلق نوعاً من التوازن بينه وبين البيئة المحيطة به، فضلاً عن تمتعه بمهارة حسن التصرف المغلف بالذكاء والفطنة( أي أن يلائم بين المعنى والمبنى ) الذين يفضيان إلى الإبانة والوضوح بطلاقة؛ وبذا يتمكن الأديب من سحر أذن المتلقي ويجعلها رهن إشارته وتحت سيطرته؛ وهنا تكمن أصالة الإبداع ؛ وإذا رجعنا البصر وجدنا الإبداع ما هو إلا خلاصة لخبرات حياتية طويلة تنبع من داخل النفس البشرية الشفافة التي تمتلك الرغبة والموهبة.

---

[114] أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني ، ص /276.

5. محاور الإبداع كثيرة ومتباينة، ومن أهمها اللغة لأن تميز الأديب يكمن في اللغة التي يعبر بها، فضلاً عن إعادة الصياغة والتوليد لأن الإبداع لا يقتصر فقط على ابتكار المعنى والسبق إليه، أو الإيجاد من عدم.كذلك يعتمد الإبداع على دلالة الصوت، كما تعد التأثيرات الصوتية من أم المهيجات التي تثير المتلقي.ولابد من تسخير الصور البيانية وترويضها لخدمة النص الأدبي بدون تكلف، فضلاً عن الرمز لما له من دلالات خاصة تثري العمل الأدبي وتفضي إلى جودته.
6. وختاماً أقول ليس هنالك أي تناقض بين الالتزام والإبداع فالالتزام أياً كان نوعه ( عقدي ، سياسي، اجتماعي) قد يكون سبباً من أسباب الإبداع أو أحد دوافعه ،ولا يستطيع أن يصل الإنسان إلى مرحلة الإبداع إلا إذا أحاط بالمعاني إحاطة تامة وأحسن الصياغة وجاء نتاجه دقيقاً واضحا يدل على الفكرة في قوالب لغوية سليمة صحيحة.

## ثبت المصادر والمراجع

**القرآن الكريم**


| | |
|---|---|
| 1. | ابن الرومي حياته من شعره:عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، الطبعة السابعة 1968م. |
| 2. | الإبداع ومصادره الثقافية عند أدونيس: عدنان حسين قاسم الطبعة الأولى 1991م. |
| 3. | الإبداع الأدبي: حسين عيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب1995م. |
| 4. | الأدب الجاهلي :غازي طليمات وعرفان الأشقر: مكتبة الإيمان دمشق الطبعة الأولى 1992م. |
| 5. | أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني،شرح محمد رشيد رضا مطبعة الترقى 1320هـ |
| 6. | الأعلام: خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين الطبعة الرابعة بيروت 1979م. |
| 7. | الأصمعيات: الأصمعي ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون،دار المعارف مصر 1955م. |
| 8. | الالتزام في الشعر العربي: أحمد أبو حاقة، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى 1979م. |
| 9. | الأمالي: أبو علي القالي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان. |
| 10. | البدائع والطرائف ( المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران) تقديم مخائيل نعيمة ، دار صادر بيروت 1964م . |

| | |
|---|---|
| 11. | تاريخ الأدب العربي . العصر الجاهلي . : شوقي ضيف ، دار المعارف 1964م |
| 12. | تجليات الشعر الصوفي قراءة في الأحوال والمقامات: أمين يوسف عودة ،المؤسسة العربية للنشر ،الأردن الطبعة الأولى2001م. |
| 13. | التفكير الإبداعي:إدوارد دي بونو ترجمة خليل الجيوسي، منشورات المجمع الثقافي بأبي ظبي الطبعة الأولى 1997م. |
| 14. | الثابت والمتحول . تأصيل الأصول . علي أحمد سعيد أدونيس ، دار العودة بيروت 1977م |
| 15. | الجامع الصحيح( سنن الترمذي ) شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر وإبراهيم عطوة عوض الطبعة الأولى 1961م دار إحياء التراث العربي بيروت. |
| 16. | الحدس والإبداع: عبد اللطيف محمد خليفة ، دار غريب للطباعة والنشرالقاهرة2000م. |
| 17. | الحيوان: عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة . |
| 18. | الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية القدامة وتحليل النص:عبد الإله الصائغ ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1997م. |
| 19. | دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد عبده ، مطبعة صبيح القاهرة 1960م. |
| 20. | ديوان ابن الرومي: شرح محمد شريف سليم، الجزء الثاني مطبعة مصر 1922م. |
| 21. | ديوان ابن خفاجة : مصطفى سلامة النجاري المطبعة الخاصة بجمعية المعارف المصرية 1286هـ. |
| 22. | ديوان أبي القاسم الشابي: دار العودة بيروت1972م. |
| 23. | ديوان إيليا أبو ماضي: دار العودة بيروت د. ت . |
| 24. | ديوان البارودي: الجزء الثالث، دار المعارف بمصر 1972م . |
| 25. | ديوان دريد بن الصمة: تحقيق عمر عبد الرسول ، دار المعارف بمصر، د. ت. |
| 26. | ديوان عبد الله بن رواحة ودراسة في سيرته وشعره: وليد قصاب، دار العلوم للطباعة والنشر الطبعة الأولى 1982م. |
| 27. | ديوان عروة بن الورد: تحقيق وشرح كرم البستاني مكتبة صادر بيروت1953م |
| 28. | ديوان عنترة : دار بيروت للطباعة والنشر 1984م. |
| 29. | ديوان الرصافي: شرح وتعليق مصطفى علي، دا ر الشؤون الثقافية العامة بغداد الطبعة |

| | |
|---|---|
| | الثانية 1986م. |
| 30. | الرومانتيكية : محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع (د. ت ) |
| 31. | سر الفصاحة : ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية بيوت 1982م . |
| 32. | شرح ديوان حسان بن ثابت:عبد الرحمن البرقوقي،المطبعة الكبرى بمصر 1929م. |
| 33. | الشعر العربي المعاصر:عز الدين الأمين المكتبة الأكاديمية الطبعة الخامسة 1994م. |
| 34. | صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري ، المكتبة الإسلامية استانبول 1979م |
| 35. | طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام الجمحي، تحقيق محمود شاكر مطبعة المدني القاهرة (د. ت). |
| 36. | العقد الفريد: أحمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق أحمد أمين وإبراهيم الأبياري و عبد السلام هارون مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة مصر 1965م. |
| 37. | العمدة في صناعة الشعر ونقده: ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل بيروت 1981م. |
| 38. | فن الشعر: إحسان عباس، دار الشروق للنشر والتوزيع عمان، الطبعة الأولى 1987م. |
| 39. | في الأدب والنقد : محمد مندور نهضة مصر للطباعة والنشر 1988م. |
| 40. | في الأدب ومذاهبه المعاصرة :علي عبد الخالق ذومة ، دار قطري بن الفجاءة الدوحة ، الطبعة الأولى 1990م. |
| 41. | الكتابة والإبداع: عبد الفتاح أحمد أبو زايدة، الدار الأندلسية للطباعة والنشر طرابلس . ليبيا، الطبعة الأولى 1992م. |
| 42. | كتاب الصناعتين : أبو هلال العسكري ، تحقيق محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية بيروت 1968م. |
| 43. | الكلاسيكية: عبد الحكيم حسان، دار المعارف بمصر الطبعة الثانية، د. ت. |
| 44. | لسان العرب : محمد أبو الفضل جمال الدين بن منظور، طبعة بولاق 1308هـ . |
| 45. | مجنون ليلى: أحمد شوقي ، المطبعة التجارية الكبرى بمصر1955م. |
| 46. | مدخل إلى الأدب الإسلامي: نجيب الكيلاني دار ابن حزم للطباعة والنشر الطبعة الثانية 1992م. |
| 47. | المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين: شكري محمد عياد ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت1993م. |

| | |
|---|---|
| 48. | معجم ألفاظ القرآن الكريم: الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث الجزء الأول 1989م. |
| 49. | مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي: عبد الباسط بدر، دار المنارة جدة الطبعة الأولى 1985م |
| 50. | المسرحية نشأتها وتاريخها وأصولها : عمر دسوقي، دار الفكر العربي القاهرة، الطبعة الخامسة. |
| 51. | مسرحيات شوقي : محمد مندور ، دار نهضة مصر القاهرة 1982م. |
| 52. | الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي:شلتاغ عبود ، دار المعرفة دمشق، الطبعة الأولى 1992م. |
| 53. | الموازنة بين الطائيين: أبو القاسم الآمدي، طبعة دار المعارف المصرية 1972م. |
| 54. | الموشح: المرزباني، تحقيق علي البجاوي، دار نهضة مصر القاهرة 1965م. |
| 55. | نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد:عبد الرحمن رأفت الباشا:دار الأدب الإسلامي القاهرة، الطبعة الرابعة1998م. |
| 56. | نظرية الأدب : رينيه ويلك وأورين أوستن، ترجمة محي الدين صبحي المؤسسة العربية الطبعة الثانية بيروت 1981م. |
| 57. | نقد الشعر : قدامة بن جعفر، تحقيق كما مصطفى مكتبة الخانجي القاهرة ، د. ت. |
| 58. | النقد الأدبي الحديث : محمد غنيمي هلال، دار النهضة العربية القاهرة 1964م. |
| 59. | النهج الإبداعي للآمدي الناقد :عبد الحميد العبسي،إصدار نادي أبها الأدبي ، الطبعة الأولى 1985م. |


المصادر الأجنبية


| | |
|---|---|
| 1 | THEROY OF BEAUTY:CARRIT/LONDON 1928 |
| 2 | THE APPRECIATION OF POETRY; GURRY, P, OXFORD, UNI, PRESS 1968. |


**الشبكة المعلوماتية العالمية**